

الفصل الثاني

- أذربيجان في عصر ولاة بني أمية وبني العباس .
- تأثير أذربيجان بأحداث الدولة الأموية .
- دور أذربيجان في مواجهة هجمات الخزر .
- موقعة مرج الحجارة ١٠٣ هـ / ٧٢٠ م .
- معركة الطين ١١٠ هـ / ٧٢٨ م .
- موقعة مرج أربيل ١١٢ هـ / ٧٣٠ م .
- ولاية مروان بن محمد أذربيجان ١١٤ هـ / ٧٣٢ م .
- أذربيجان في عصر ولاة بني العباس .
- حركة بابك الخرمي .



تاريخ الإسلام في أذربيجان ————— من الفتح الإسلامي إلي نهاية العصر العباسي الأول

تأثر أذربيجان بأحداث الدولة الأموية :-

في بداية الفتوحات الإسلامية حقق المسلمون انتصارات كبيرة ، نجحوا خلالها في الوصول إلي جبال القوقاز وبلاد الخزر والأناضول ، وحتى وفاة عثمان بن عفان كانت الأوضاع في هذه المناطق شبه مستقرة ، ولم يكن بها من القلاقل ما يهدد سيطرة الدولة الإسلامية حتى تفشت القلاقل والفتن في ربوع العالم الإسلامي ، ولم تلبث أن ازدادت عنفاً عقب مقتل الخليفة عثمان ابن عفان وشوب الحرب الداخلية بين معاوية بن أبي سفيان الذي نادى بنفسه خليفة في دمشق وبين علي بن أبي طالب الذي تولي الخلافة في المدينة ثم الكوفة (١).

وما لا شك فيه أن هذه الأحداث المسماة بالفتنة الكبرى (٣٥ - ٤١هـ / ٦٥٦ -

٦٦١م) قد أثرت بالسلب على أذربيجان ومناطق القوقاز بعد أن قام معاوية بسحب قوات الشام بقيادة حبيب بن مسلمة من أرمينية والقوقاز ، وقام علي بن أبي طالب باستدعاء الأشعث بن قيس بجزء من قواته من أذربيجان ليعضده في صراعه مع معاوية (٢).

وكان العدو الرايض على حدود الدولة الإسلامية يتحين مثل هذه الفرصة

فاستغلت الدولة البيزنطية هذه الأحداث وخلو منطقة آسيا الوسطى من قوات يعتد بها

فتوغلت فيها سنة ٥٣٧هـ / ٦٥٧م وسيطرت على أجزاء شاسعة منها ، وغدت المنطقة الممتدة

ما بين بلاد الكرج حتى باب الأبواب خارج نطاق سيطرة الدولة الإسلامية (٣).

(١) وللمزيد انظر : ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٧ ، ص ٢٢٩ - ٢٦٢ ، عطاء الله تدين ، رويداد باي مهم تاريخ جهان ، جلد دوم ، تهران ، ١٣٥٠ هـ ش ، ص ٤٧ - ٥٢ . وللمزيد انظر :

V.A Renouf : Outlin of General History , London, 1914, P. 190 ; Bernard lewis : The Arab in History, P. 61 - 63 .

(٢) البيهقي ، تاريخ الجيقي ، ج٢ ، ص ٢٠٠ - ٢٠٢ ؛ المنقري ، وقعة صفين ، ص ٢٠ - ٢١ . إبراهيم العدوي الأمويون والبيزنطيون ، ص ١١٧ ؛ فايز نجيب إسكندر ، الفتوحات الإسلامية لبلاد الكرج ، ص ٦٤ - ٦٥ ؛ صالح أحمد علي ، القبائل العربية في بلاد الشام زمن الخلفاء الراشدين ، مجلة دراسات ، الجامعة الأردنية ، العدد ٤ ، ١٩٨٧ ، ص ٢٨ .

(٣) العريني ، الدولة البيزنطية ، ص ١٢٩ ؛ إبراهيم العدوي ، المرجع السابق ، ص ١١٧ ؛ فايز نجيب ، الفتح الإسلامي لبلاد الكرج ، ص ٦٤ - ٦٥ .

Haut, Histoire des Arab, Tome.1, P. 252 .

تاريخ الإسلام في أذربيجان ————— من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر العباسي الأول

وبعد انتهاء أحداث الفتنة سنة ٤١هـ / ٦٦١م بتنازل الحسن بن علي عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان (٤١-٦٠هـ / ٦٦١-٦٨٠م) فكان المتوقع أن يستأنف معاوية نشاطه الحربي الذي خبا بعد وفاة عثمان بن عفان ولكن من الملاحظ أنه لم يكن في عهده خاصة المشرق إلا فتوحات قليلة وفي غالبيتها محاولات لإرجاع الناكثين إلى طاعة الدولة الإسلامية ، كما انصرفت جهود معاوية في هذا الإطار إلى القيام بالصوائف والشواتي على الحدود مع الدولة البيزنطية والاهتمام بالنواحي الحربية معها ، كما أن العراق لم يكن خاضعاً خضوعاً كاملاً لسيطرة معاوية ، مما يتيح له أن يسير الحملات من قاعدتي الفتوحات في المشرق البصرة والكوفة^(١) استعاض معاوية عن هذا التقصير الحربي باستخدام مهاراته السياسية في الاهتمام بمدن أذربيجان وتأمين الوجود الإسلامي في مناطق جبال القوقاز ، ففي عام ٤٢هـ / ٦٦٢م سلك مع حكام جبال القوقاز طرق التهريب فأرسل إليهم يدعوهم إلى العودة إلى سيطرة الدولة الإسلامية ونبذ سيطرة بيزنطة وتوعدهم إن لم يجيبوه ، وكانت الأمور والظروف السياسية والعسكرية تصب في مصلحة الدولة الأموية بعد أن تعافت من الفتنة ، فلم يجد هؤلاء الحكام بدأً من إعلان الخضوع للدولة الأموية^(٢) وبدون الخوض في أوار حرب جديدة مع الأرمن استغل معاوية الانقسامات الداخلية الأرمنية والصراع على السلطة في إعادة السيطرة على هذا الإقليم^(٣) .

(١) شكري فيصل ، حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول ، ص ١٤٤ ، فايز نجيب ، الفتح الإسلامي لبلاد الكرج ، ص ٦٧ ، وللمزيد انظر :

Peter mansfield : The Arab , London, 1967, P. 39 .

(٢) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٣ ، ص ١٧٢ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج٣ ، ص ٤٢٠ ، الشهابي ، تاريخ الفرر الحسان في تواريخ حوادث الزمان ، ط القاهرة ، ١٩٠٠م ، ص ٥٥ ، وللمزيد انظر :

Peter mansfield : Op.ciT, P. 39 .

(٣) الطبري ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص ١٧٢ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج٣ ، ص ٤٢٠ ، فايز نجيب إسكندر ، أرمنية بين البيزنطيين والأثراك والملاجقة ، ص ١١٨ ، إبراهيم خميس ، معاهدات السلام بين المسلمين والبيزنطيين في النصف الثاني من القرن السابع الميلادي ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، المجلد ٤١ ، ١٩٩٣ / ١٩٩٤ م ، ص ٧٦ .

Grousset . Histoire des L'Armenie , P. 302 – 303 .

تاريخ الإسلام في أذربيجان ————— من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر العباسي الأول

وأهمية هذه الأحداث أنها تركت أثرها على أذربيجان ، فوجود مناطق القوقاز وأرمينية تحت سيطرة بيزنطة يجعل أذربيجان تحت التهديد المباشر لبيزنطة ويعرضها لفتن كثيرة .

وكان على معاوية بن أبي سفيان أن يواجه قوماً أولي بأس شديد ليس للسياسة معهم سبيل ولا يعرفون للترغيب ولا للترهيب طريقاً ، ففي عام ٤٧هـ / ٦٦٧م تقدمت جيوش الخزر الجرارة نحوه مدن أذربيجان ، واستولت في الطريق إليها على مدن وقلاع فخرج إليهم عبد الله بن سوار العبدى على رأس الحامية العسكرية وألقى بهم في جبال أذربيل ؛ فتغلب عليه الخزر وقتلوا عدداً كبيراً من أفراد الحامية العسكرية ، وخر عبد الله صريعاً على أرض المعركة ، واستولى الخزر على مناطق الجبال المحيطة بأذربيل وعاثوا فيها فساداً^(١).

ولم تذكر المصادر ما انتهت إليه هذه الحملة الخزرية ، ولكن ومن المرجح أن يكون الخزر قد عادوا أدراجهم بعدما استولوا على الغنائم والأسلاب الكثيرة ، ويؤيد ذلك أن المصادر لم تشر إلي تعرضهم لأذربيجان أو أي مدينة أخرى ، أو تصدى جيوش الخلافة لهم مرة ثانية ، كما أن الخزر يتبعون سياسة الكر والفر والهجمات السريعة الخاطفة ثم العودة السريعة بما يقدرون على حمله من غنائم وأسلاب .

وكانت هذه الهجمة بمثابة الحجر الذي حرك الماء الساكن في العلاقة بين الدولة الإسلامية والخزر ، فالخزر قد أخذتهم الجرأة في التعرض لحدود الدولة الإسلامية ، مستغلين في ذلك فترة الاضطرابات التي شهدتها الدولة الإسلامية وحالة الوهن التي خلفتها المحنة الكبرى ، ولا سيما وأن الدولة الإسلامية منذ أمد بعيد لم يتحرك لها جيش صويم . وزاد

(١) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٢٠٨

تاريخ الإسلام في أذربيجان ————— من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر العباسي الأول
الوضع تعقيداً أن أخرجولة في الصراع مع الخزر كانت في صالحهم تلك التي كانت
في موقعة البلنجر حيث هزم جيش المسلمين سنة ٥٢٢هـ / ٦٥٢م ؛ وذلك ما أعطى الخزر
الجرأة على القيام بهذه الهجمة .

وتعرضت الدولة الإسلامية لهزة عنيفة أخرى باندلاع الصراع على السلطة بين يزيد
بن معاوية بن أبي سفيان (٦٠ - ٦٤ هـ / ٦٨٠ - ٦٨٣ م) وبين الحسين بن علي بن أبي
طالب المطالب بالخلافة واتخذ من الكوفة عاصمة له ، وامتدت هذه الاضطرابات بين
مروان بن الحكم (٦٤ - ٦٥ هـ / ٦٨٣ - ٦٨٥) ومن بعده ابنه عبد الملك بن مروان
(٦٥ - ٨٦ هـ / ٦٨٥ - ٧٠٥ م) وبين المنافس لهما عبد الله بن الزبير واستمرت هذه
الاضطرابات ما يزيد على عشر سنين خرجت منها الدولة مقطعة الأوصال (١) .

هذه الأحداث أحدثت فراغاً سياسياً وعسكرياً في أذربيجان جعل منها فريسة
سهلة لمن ينقض عليها ، حيث لم يكن هناك ما يمنع ذلك بعد انخراط حاميتها
في الاضطرابات ، فكانت أيدي المختار بن عبيد الثقفي (٢) أسرع في الوصول إليها ، حيث
سيطر على أجزاء واسعة من أرمينية وضم إليه أذربيجان سنة ٦٧ هـ / ٦٨٦ م ، واستتاب
عليهما إبراهيم بن الأشتر (٣) الذي دخل لاحقاً في طاعة عبد الله بن الزبير بعد مقتل
المختار بن عبيد على يد مصعب بن الزبير في سنة ٦٧ هـ / ٦٨٦ م ، ومن ثم قام عبد الله بن

(١) عن تفاصيل هذه الأحداث انظر : ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٥ ، ص ١٤٢ - ١٦٣ ، ٢٢٥ - ٢٧٥

(٢) كان للمختار بن عبيد الثقفي مواقف متناقضة في بغض علي بن أبي طالب ومولاه أولاده والتسبب لهم ، وادعي
النبوة ونزول الوحي عليه ، وللمزيد انظر الدينوري ، المعارف ، ص ٤٠٠ - ٤٠١ ، البغدادي ، الفرق بين
الفرق ، تحقيق طه عبد الرؤوف ، ط القاهرة ، (د ت) ، ص ٢٦ - ٢٧ ، رسول حنزي ، تاريخ سياسي
إسلامي ، جلد سوم ، تهران ، ١٣٦٩ ، ص ٢١١ - ٢١٤

A.A. Dixon : A malcontent from the umayyad period, Islamic culture, Vol. XIV II, No.1 ,
January, 1973, P. 32 - 33

(٣) إبراهيم بن الأشتر أحد قادة الخوارج المشهورين بالشجاعة والإقدام ، وهو قاتل عبيد الله بن زياد ، وأبوهم ممن
شارك في قتل عثمان بن عفان ، وللمزيد انظر : ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٥ ، ص ٣٠٨

Dixon . Op.cit, P. 32 - 33 .

تاريخ الإسلام في أذربيجان ————— من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر العباسي الأول

الزبير بتعيين المهلب بن أبي صفرة نائباً عنه في أذربيجان سنة ٦٦٨ هـ / ٦٨٧ م. وظل المهلب بن أبي صفرة يصارع الأزارقة^(١) ويقاثلهم حتى أنهتته الحرب معهم ، وظلت الحرب سجلاً بينهما إلى أن اضطرت الظروف إلى التوجه إلى العراق لمواجهة عبد الملك بن مروان^(٢) .

وبالرغم من أن الظروف السياسية والعسكرية قد اضطرت الخوارج الأزارقة إلى التحول من أذربيجان إلى فارس وأصبهان ، إلا أنهم عادوا إليها مرة ثانية ولكن هذه المرة الخوارج الصفرية^(٣) وكان ذلك سنة ٥٧٦ هـ / ٦٩٥ م. حيث نجح شبيب بن يزيد^(٤) في دخولها ، وتمكن من رد جيوش الخلافة التي حاولت إخراجه حيث رد جيشاً للحجاج بن يوسف الثقفي ، ونجح في دحر جيش لوالي أذربيجان - في عهد عبد الملك بن مروان - محمد بن مروان^(٥) وبدأت دائرة التأييد للخوارج تتسع شيئاً فشيئاً في مناطق الموصل والجزيرة وأذربيجان ، وبدأ الكثير من أهل أذربيجان يسعون حثيثاً لمساعدة هذه الحركات وظلت أذربيجان خارج نطاق سيطرة الدولة الأموية إلى وفاة شبيب بن يزيد غرقاً في النهر سنة ٥٧٧ هـ / ٦٩٦ م واحتضار حركته ونهايتها^(٦) .

(١) الأزارقة : أحد فرق الخوارج التي تنسب إلى نافع بن الأزرق في البصرة والأهواز ، عن أفكارهم وأصلهم انظر : البغدادي ، المصدر السابق ، ص ٥٠ ، الرازي ، كتاب الزينة من الكلمات العربية والإسلامية ، القسم الثالث ، تحقيق عبد الله سلوم ، (د.ب.ن) ص ٢٨٤ ؛ محمد إبراهيم ، وادي هنت واد ، جلد نخست ، طهران ، (د.ب.ت) ، ص ٢٩٨ .

(٢) البيهقي ، تاريخ البيهقي ، ج ٢ ، ص ٢٥٩ ، الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج ٣ ، ص ٥٠٢ .
(٣) الصفرية : أحد فرق الخوارج ، وسُموا بذلك نسبة إلى رئيسهم ابن الأصغر أول رئيس لهم أو لاصفرار وجوههم من كثرة العبادة عن تفاصيل ذلك انظر : البغدادي ، المصدر السابق ، ص ٥٤ - ٥٥ ، الرازي ، المصدر السابق ، ص ٢٨٣ .

(٤) شبيب بن يزيد : اشتهر بالشجاعة ، فطى الرغم من كلة عدد أتباعه إلا أنه أحبب الأُمويين في قتاله ، عن ذلك انظر ابن قتبية ، المعارف ، ص ٤١ - ٤١١ ؛ محمد إبراهيم ، المرجع السابق ، ص ٢٩٨ - ٢٩٩ .

(٥) الطبري ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٥٥٩ - ٥٦٠ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ، ص ٤٠٥ - ٤٠٦ .

(٦) البيهقي ، تاريخ البيهقي ، ج ٢ ، ص ٢٧٢ ؛ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج ٣ ، ص ٥٥٩ - ٥٦٠ .

تاريخ الإسلام في أذربيجان ————— من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر العباسي الأول

وبالرغم من اجتثاث الخوارج من أرض أذربيجان إلا أنها أصبحت نهياً وطمعاً للقوى الخارجية فبعد أن خلع الأرمن طاعة الدولة الأموية وظنوا في أنفسهم القوة والبأس اللذين يكتوهم من مناصبتها العدا ، وهذا ما جعل محمد بن مروان والي أذربيجان يدخل معهم في أكثر من معركة في الفترة ما بين ٨٢ / ٧٠١ م وعام ٨٤ هـ / ٧٠٢ م ، وبدأ الأرمن محاولة الوصول إلى أذربيجان والاستيلاء عليها مستغلين انشغال محمد بن مروان ووجوده في دمشق ، فتصدت لهم حامية المدينة العسكرية ، التي لم تكن مستعدة لمواجهة الأرمن فحاقبت بهم الهزيمة وقتل عدد كبير من أفرادها ما بين قتييل على أرض المعركة أو غريق في نهر الرس (١) .

ولم تدم نشوة الانتصار الذي حققه الأرمن على حامية أذربيجان ، وبينما شقت جموع الأرمن طريقها نحو أذربيجان ، كان محمد بن مروان قد أسرع بتجهيز جيش من منطقة الجزيرة الفراتية وتحرك به نحو أذربيجان حيث ألتقى بجموع الأرمن بقيادة زعيمهم سمباط الجراطي ودارت بين الفريقين معركة حامية الوطيس أنجلت عن هزيمة مروعة للأرمن ، وفرار زعيمهم سمباط إلى بيزنطة (٢) .

وعلى ما يبدو أن الأرمن قد أخطأوا الحسابات حينما ظنوا أن أحداث الخوارج سوف تشغل الدولة الأموية عن أذربيجان ، وما كان للأرمن أن يحققوا هذا الانتصار المفاجئ على حامية المدينة لولا مساعدة بيزنطة التي قدمت لهم المعونة العسكرية التي مكنتهم من ذلك بدليل أن سمباط الجراطي زعيم الأرمن قدم جياداً عربية مما غنمه من الحامية العسكرية هدية للبيزنطيين (٣) كنوع من رد الجميل واعترافاً بفضلهم ودورهم في تحقيق هذا الانتصار .

(١) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ، ص ٤٧٦ ؛ صابر محمد دياب ، أرمينية من الفتح الإسلامي إلى مستهل القرن الخامس الهجري ، ص ٤٦ - ٤٧ ؛ فايز نجيب إسكندر ، الفتح الإسلامي لبلاد الكرج ، ص ٧٣ - ٧٤ .

(٢) خليفة بن خياط ، المصدر السابق ، ص ٢٩١ ؛ الحنيلي ، شذرات الذهب ، ج ١ ، ص ٤٣ .

(٣) خليفة بن خياط ، المصدر السابق ، ص ٢٩١ ؛ صابر محمد دياب ، المرجع السابق ، ص ٤٦ - ٤٧ .

تاريخ الإسلام في أذربيجان. ————— من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر العباسي الأول

وفي عهد الوليد بن عبد الملك (٨٦ - ٩٦ هـ / ٧٠٥ - ٧١٥ م) انصرف الاهتمام قليلاً عن أذربيجان حيث جعل الوليد هدف عملياته العسكرية الاستيلاء على المعازل الهامة على الطريق الرئيسي المؤدي إلى القسطنطينية واستهدفت الحملات التي أرسلها الوليد كل عام ابتداءً من ٨٦ هـ / ٧٠٥ م حتى العام ٩٦ هـ / ٧١٥ م منطقة الثغور^(١) وآسيا الصغرى^(٢) .

وبالرغم من نجاح هذه الحملات في الوصول إلى البسفور والاستيلاء على بعض المعازل الهامة بالقرب منه ، ولكن لم يكن هذا إلا لغرض الاستطلاع العسكري وتأمين الوجود الإسلامي في آسيا الوسطى وأرمينية^(٣) .

وبالرغم من نجاح هذه الحملات إلا أنها شغلت الدولة الأموية عن تأمين أذربيجان جاء ذلك في الوقت الذي كانت تتم فيه هذه الأحداث على مرأى ومسمع من الخزر الذين استغلوا هذا الانشغال وحالة الفراغ العسكري الموجود في منطقة أذربيجان وبدأوا يطرقون أبواب أذربيجان بقوة ففي عام ٨٩ هـ / ٧٠٧ م تقدم الخزر نحو أذربيجان وهاجموا عدداً من المدن في الطريق إليها وعاثوا فساداً في الأرض وحاصروا مدينة باب الأبواب وضيقوا الخناق عليها ، ولم تستطع حامية أذربيجان التي تركها مسلمة بن عبد الملك - والي أذربيجان في عهد الوليد - صد هذه الجموع ، فاقترضت هذه الأحداث عودة مسلمة من جبهة بيزنطة

(١) عن مناطق الثغور والحدود الإسلامية البيزنطية انظر : إين الشحنة ، الدر المنتخب في تاريخ مملكة طبرستان ، بيروت ، ١٩٠٩ ص ١٩١ ، الفتح عثمان ، الحدود الإسلامية البيزنطية ، ج ١ ، ط القاهرة ، (دت) ، ص ٣٣٣ .

(٢) عن تفاصيل وأحداث هذه الحملات انظر : خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٢٠١ - ٢٠٢ ، اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ، ص ٢٨٣ ، الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج ٢ ، ص ٦٧٢ ، ٦٧٩ ، ٦٨١ ، ج ٤ ، ص ٣٣ ، ١١ ، ١٢ ، ٢١ ، ٢٦ ، ٤٣ .

(٣) لعبت أرمينية دوراً مهماً بالنسبة للدولة الإسلامية في صراعها مع بيزنطة بحكم موقعها الحاجز بينهما وهذا الموقع الجغرافي جعلها مقسمة الولاء ومناهرة سياسياً ، فتوالي الفريق الأقوى والمنتصر وتقدم له يد العون ، وهذا الموقف السياسي كان مع الدولة الفارسية قبل ظهور الإسلام . عن تفاصيل طبيعة وأهمية موقع وموقف أرمينية انظر : وسام عبد العزيز فرج / جوزيف نسيم ، العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية حتى منتصف القرن الثامن الميلادي ، ط الإسكندرية ، (دت) ، ص ٢٠٠ - ٢٠١ .

تاريخ الإسلام في أذربيجان ————— من الفتح الإسلامي إلى نهايه العصر العباسي الأول
ولكن لم يجد للخزر أثر إذ أنهم سرعان ما عادوا إلى بلادهم محملين بما قدروا على حمله من
الغنائم والأسرى (١) .

ويظهر لنا مدي انشغال القيادة السياسية في الدولة الأموية بالحرب مع بيزنطة
على ما سواه إذ سرعان ما ترك مسلمة أذربيجان متوجهاً إلى مناطق الثغور لقيادة الحملة
على الحدود البيزنطية .

وما كاد مسلمة يصل إلى منطقة الحدود الإسلامية البيزنطية ، حتى بدأ الخزر
يستغلون حالة الفراغ التي خلفها مسلمة في أذربيجان ، حيث جمعوا جموعهم الجرارة
وقصدوا أذربيجان واستولوا في الطريق إليها على مدينة باب الأبواب وعاثوا فيها فساداً
وقتلوا عدداً كبيراً من سكانها ثم كانت أربيل هي التالية ولم تستطع الحاميات العسكرية
من فعل شيء إذ أن مسلمة كان قد استصحب في رحلة العودة إلى الثغور خيرة الفرسان
والمقاتلين ، ووجد الخزر الفرصة السانحة للاستيلاء على عدد كبير من مدن أذربيجان
وبالرغم من تعجل مسلمة في نجدة سكان أذربيجان إلا أن البون كان شاسعاً والمسافة
كانت بعيدة . فلما وصل أذربيجان وجد الخزر قد عادوا من حيث أتوا ، فتوغل في أراضيهم
ومناطقهم الحدودية وأقام بها مواقع عسكرية وأسكنها الحاميات والجند لتكون مواقع
عسكرية متقدمة وللقيام بهام الاستطلاع العسكري لأنشطة الخزر الحربية وإجهاض
محاولاتهم مبكراً ، ثم شرع في إعادة بناء مدن أذربيجان بعد أن دمرها الخزر وأقام بها
التحصينات والاستحكامات الحربية وأسكنها عدداً كبيراً من المسلمين (٢) .

(١) الطبري . المصدر السابق . جـ ٣ ، ص ٦٨٠ ، ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والحبر . جـ ٣ ، ص ٨٩ ،
مجهول ، العيون والحدائق في أخبار الحقائق . جـ ٣ ، طابرين ، (د ت) ، ص ٣ وللمزيد انظر

Sir John Glubb : The Empire of the Arab, P. 122 .

(٢) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٤ ، ص ٢٣ ، الذهبي ، تاريخ الإسلام ، جـ ٣ ، ص ٢٢٤ ، الشهابي ، تاريخ
الفرار الحسان ، ص ٧٦

Sir John Glubb : The Empire of the Arab, P. 122 .

تاريخ الإسلام في أذربيجان ————— من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر العباسي الأول

وكان النجاح الذي حققته الحملات في مناطق الثغور في عهد الوليد باعثاً على التفكير الجدي والمباشر في محاولة الوصول إلى القسطنطينية بيت القصيد ، وهو المشروع الذي أعيد إحيائه في عهد سليمان بن عبد الملك (٩٦ - ٩٩ هـ / ٧١٥ - ٧١٧ م) ومن العوامل التي ساعدت على التفكير في هذا المشروع أن سليمان أراد أن يستغل فترة الاضطرابات والفوضى التي كانت تعيشها بيزنطة في الداخل والخارج وتعيش فترة من أحلك فترات تاريخها ، فجعل سليمان من هذا المشروع موضوع الساعة وغلب على ما سواه (١) .

وقد استنفذ هذا المشروع كل طاقات واهتمامات الدولة الأموية ، فلم يجد الخنز صعوبة في مهاجمة أذربيجان وأن يعيثوا فيها فساداً سنة ٩٩ هـ / ٧١٧ م ، ولم يقفوا عند أربيل بل هاجموا عدداً كبيراً من مدن أذربيجان وأهلكوا الحرث والنسل ، ثم كانت عودتهم إلى بلادهم بعد أن حملوا في طريق عودتهم الغنائم والأسلاب (٢) .

(١) وسلم عبد العزيز ، العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية . ص ١١٧
V.A Renouf : Outlin of General History, P. 191 .

(٢) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٣١٩ ، اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ص ٢٠٢ ، الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج ٤ ، ص ٦١ .

تاريخ الإسلام في أذربيجان ————— من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر العباسي الأول

دور أذربيجان في مواجهة هجمات الخزر على الدولة الأموية :

في عهد عمر بن عبد العزيز (٩٩ - ١٠١ هـ / ٧١٧ - ٧٢٠ م) شهدت الجبهة مع الخزر فترة من السكون الحربي والسياسي ، حيث كان لعمر فلسفته الخاصة ، وكانت له أغراضه الطيبة ، وفي الحقيقة لم تكن أعماله في هذا الصدد بعيدة عن الحكمة ، وحين أعقبه يزيد بن عبد الملك (١٠١ - ١٠٥ هـ / ٧٢٠ - ٧٢٤ م) غير السياسة الخارجية المتجمدة بعض الشيء وبعث حرارة الجهاد من جديد ولكن دون نتائج إيجابية تتناسب مع حجم الجهاد والجهود المبذولة لتحقيقه ، فقد اصطدم يزيد بواقع حربي وتكتيكات عسكرية جديدة ، فقد دفع التهديد الإسلامي منذ القرن الثامن الميلادي / الثاني الهجري بكل من الخزر وبيزنطة إلى التحالف^(١) في وجه الدولة الأموية ، وظل هذا التحالف ركناً أساسياً في علاقاتهما طوال القرنين التاليين ، إذ ظل الخزر الحليف الدائم لبيزنطة في الشمال الشرقي ، وتلقت بيزنطة معونة طيبة من خلال صداقتها التقليدية مع الخزر الذين أحسوا بأنفسهم متحدين مع البيزنطيين في عداة مشترك للدولة الإسلامية ، حيث استقلت بيزنطة العداة المستحكم بين الدولة الأموية والخزر أحسن استغلال وسخرت الحرب والسياسة لتحقيق أهدافها ، فتم تقوية التحالف بين الخزر وبيزنطة بالمصاهرة ، حيث تزوج ابن

(١) تركزت دولة الخزر في إقليم يقع بين الحوض الأدنى لنهر الفولجا شمال جبال التوقاز وبحر أزوف ، ومنذ القرنين الوسطى المبكرة بدأت هذه الدولة تهدد بيزنطة منذ القرن السادس الميلادي ، وحدث بينهما أكثر من صدام مسلح ، ومع مطلع القرن السابع الميلادي أدت الظروف التي أحاطت بهما إلى حدوث تقارب وتقاوم بينهما ، ولقد أنرك البيزنطيون الأهمية والقيمة الكبرى لشمال التوقاز ، فني أثناء الصراع الفارسي البيزنطي تعالفت بيزنطة مع الخزر في وجه الفرس ، وبعد ذلك حدث بعض التوتر في العلاقات بين كلا الفريقين لا سيما في عهد جستينيان الثاني ، ولكن مع تصاعد وتنامي الوجود الإسلامي على حساب الدولتين فقد فرضت عليهما الظروف السياسية والعسكرية التحالف في وجه المد الإسلامي ، واتخذ هذا التحالف عدداً من الصور ما بين السياسية والعسكرية والاجتماعية ، وللمزيد انظر : وسام عبد العزيز ، العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية ، ص ٢٠٤ - ٢٠٥ ، دنلوب ، تاريخ جهود الخزر ، تعريب د/ سهيل زكار ، ط ٢ دمشق ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م ، ص ١٩ - ٢٣ بهمن آقايي ، درباري خزر در قرن بیست ویکم ، مجلة ایران شناسی ، سال پانزدهم ، شماره ٣ ، باستان ١٣٨٢ / ٢٠٠٣ ، ص ٤١٨ - ٤٢٢ .

تاريخ الإسلام في أذربيجان ————— من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر العباسي الأول

الإمبراطور البيزنطي ليو الثالث الأيسوري وخليفته قسطنطين الخامس من ابنه خاقان الخزر سنة ٧١٥هـ / ٧٣٣^(١).

وبذلك أصبحت جبهة الخزر وشمال القوقاز ميداناً يمتص طاقة الأمويين ، وأصبح الخزر قوة تجذب كل انطلاقة للدولة الأموية ويتضح ذلك جلياً من خلال العلاقة مع الخزر خلال فترة حكم كل من يزيد بن عبد الملك وخلفه هشام بن عبد الملك .

موقعة مرج الحجارة ١٠٣هـ / ٧٢٠م :-

وقع أول صدام مسلح بين الدولة الأموية والخزر في عهد يزيد بن عبد الملك في نهاية العام ١٠٣هـ / ٧٢٠م ، حيث تلقى الخزر المعونة العسكرية من بيزنطة وسكان مناطق القوقاز وقوي ساعدتهم وشرعوا في مهاجمة حدود الدولة الأموية وقصدوا أذربيجان ، فعين يزيد بن عبد الملك القائد ثبيت النهراي لقتالهم ، فتقدم ثبيت بجيشه وألحق بالخزر في موقعة مرج الحجارة شمال غرب أربيل ، ويعد قتال عنيف بين الجيشان ، انتصر الخزر وقتلوا عدداً كبيراً من جنود المسلمين وفرت فئة قليلة نحو دمشق .^(٢)

ويعد هذه الهزيمة التي حاقت بجيش الخلافة الأموية لم يعد هناك شيء يحول بين أذربيجان واستيلاء الخزر عليها ، فعاثوا فيها فساداً وقتلوا أعداداً كبيرة من سكانها وظلت ترزح تحت نيرهم إلى أن قام يزيد بتعيين الجراح بن عبد الله الحكمي^(٣) وأمدته

(١) والمزيد انظر . العروني ، الدولة البيزنطية ، ص ١٦٧ ، وسام عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص ٢٠٤ - ٢٠٥ ، أرثر كينتلر ، القبيلة الثالثة عشرة ، ص ١٢ ، ٢٢ .

(٢) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٢٢٧ ، البطوي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص ٣١٤ ، الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٤ ، ص ٩٨ ، محلان ، الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية ، ص ١٧٠ .

(٣) الجراح بن عبد الله الحكمي . أشهر قادة الحرب في عصر الدولة الأموية ، كان يلقب بأبي حنيفة ، وصف بالشجاعة والبطولة ، ولي لعمر بن عبد العزيز خراسان ، انظر : ابن دريد ، الاشتقاق ، ج١ ، ص ١٨٥٤ ، ص ١٧ ، راضي عبد الله ، دراست في تاريخ خراسان في العصر الأموي (٤٠ - ١٣٢ م) ، ط القاهرة ، ١٩٨٧ م ، ص ٥٠ - ٥١ .

تاريخ الإسلام في أذربيجان ————— من الفتح الإسلامي إلى بهابه العصر العباسي الأول

بجيش من خيرة عناصر الجند في الدولة الأموية وطلب منه إزاحة الخزر عن حدود الدولة الأموية (١).

فتقدم الجراح بجيشه وأخذ يقوي جبهته الداخلية بإعادة السيطرة على المناطق المجاورة لأذربيجان وتطهير المدن والحصون التي إحتلها الخزر وفرض الطاعة على ملوك الجبال ثم شرع في مهاجمة فلول الخزر الذين بدأوا ينسحبون من أذربيجان ومن وجه القوات الإسلامية ، وأخذ الجراح يتعقب فلول الخزر النارية ، إلى أن أزاحهم عن حدود الدولة الأموية ، وحتى تلك اللحظة لم يكن قد دخل معوم في معركة فاصلة ، ولذا فقد تابع تقدمه وتوغل في حدود الخزر إلى أن وصل إلى أحد معاقلهم الرئيسية مدينة البلينجر فضرب عليها الحصار ، وطال أمد هذا الحصار إلى أن نجح أحد الجنود من اختراق هذه التحصينات ، وتدفق المسلمون إلى داخل المدينة واستولوا على ما كان بها بعد قتال عنيف مع الخزر (٢).

وشرع الجراح يعد العدة لمزيد من التوغل والاستيلاء على المدن الخزرية ، وبدأ التقدم ولكن جاءت وفاة يزيد بن عبد الملك لتعطل هذا المشروع ، مما اضطر الجراح الحكمي إلى العودة إلى أذربيجان وانتظار ورود تعليمات أخرى (٣).

وبتولي هشام بن عبد الملك الحكم (١٠٥ - ١٢٥هـ / ٧٢٤ - ٧٤٣م) كان عليه التصدي لخطر الخزر ذلك العدو الرابض على حدود الدولة الأموية ، ويعد هشام بحق من وجهة نظر المؤرخين ثالث بني أمية في السياسة وأخرهم بعد معاوية الذي أسس دولة بعد الفتنة الكبرى ، وعبد الملك بن مروان الذي قاد الدولة الأموية في أخطر مراحلها من أجل

(١) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص ٢١٣ ، الطبري ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص ١٠٥ ، الأزدي ، تاريخ

الموصل ، ج٢ ، ص ٢٢ .

(٢) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٢٣١ ، الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٤ ، ص ١٠٩ ، الكوفي ، الفتوح ، ج٥ ، ص ٢٦٠ - ٢٦٤ .

(٣) الكوفي ، نفس المصدر ، ج٥ ، ص ٢٦٠ - ٢٦٥ ، ابن خلدون ، العبروديان المبتدأ والخبر ، ج٣ ، ص ١١٠٥ ، حلان ، الفتوحات الإسلامية ، ص ١٧١ .

تاريخ الإسلام في أذربيجان ————— من الفتح الإسلامي إلى نهابه العصر العباسي الأول

الاستمرار، أما هشام فقد قاوم النهاية المحتومة طويلاً وحاول كثيراً، وجاهد في الداخل والخارج من أجل البقاء، فكان عهده أشبه بصحوة ما قبل الموت البطيء، الذي جاء على يد الخلفاء الأربعة الذين تلوه في الحكم، وبالرغم من أنه لم يكن جندياً إلا أنه أظهر سياسة وحكمة وشجاعة كبيرة في خوض غمار الحرب والتدبير لها، ما يثبت أنه رجل حرب وإدارة لا يستكين^(١).

ظهر أثر هذه الصفات التي تحلى بها هشام في اهتمامه بأمر أذربيجان إذا استهل عهده بتسمية الجراح والياً على أذربيجان وأمهه بالرجال والعتاد والإمدادات التي طلبها فاستطاع الجراح من منازلة الخزر سنة ١٠٦هـ / ٧٢٤، وأوقع بهم الهزيمة وألزمهم التراجع خلف حدودهم^(٢).

ويعد هزيمته للخزر عرج الجراح بجيشه نحو مناطق القوقاز لمنازلة ملك قلعة اللان لتكرار تعاونه مع الخزر ضد الدولة الأموية ومشاركته في الهجوم على أذربيجان، وتمكن الجراح من دخول القلعة عنوة وعقد اتفاقاً مع حاكم القلعة يلتزم فيه الحاكم بدفع قدر معين من المال سنوياً مقابل تركه على حكم القلعة وعدم التعرض لها، ثم عاد أدراجه إلى أذربيجان^(٣).

ويعود مسلمة بن عبد الملك مرة ثانية إلى أذربيجان والياً عليها سنة ١٠٧هـ / ٧٢٥م، بعد أن عزل هشام الجراح عنها، غير أن مسلمة لم يبارح دمشق واستناب على أذربيجان الحارث بن عمرو الطائي حيث قاد جيش الخلافة في الحملة على الخزر

(١) انظر: مسلم عبد العزيز فرج، العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية، ص ١١٣ - ١١٤
(٢) خليفة بن خياط، المصدر السابق، ص ٣٣٦، البيهقي، تاريخ يعقوبي، ج ٢، ص ٣٢٨، ابن الأثير، الكامل، ج ٥، ص ١٣٤، أديب السيد، أرمينية في التاريخ العربي، ط ١، (دم)، ١٩٧٢ م، ص ٩٢.

Muire: The Caliphate, P. 397.

(٣) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٣٦، البيهقي، تاريخ يعقوبي، ج ٢، ص ٣٢٨، ابن الأثير، الكامل، ج ٥، ص ١٣٤.

Muire: The caliphate, P. 397.

تاريخ - إسلام في أذربيجان - من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر العباسي الأول

سنة ١٠٧ هـ / ٧٢٥م فأشكتب معهم في أكثر من موقع وتوغل في حدودهم ثم عاد بجيشه الظاهر إلى أذربيجان (١).

وعلى ما يبدو أن حملة الحارث بن عمرو على الخزر لم تكن ذات أثر، إذ أنه ما كان يصل إلى أردبيل إلا وكان الخزر في عقبه سنة ١٠٨ هـ / ٧٢٦م، فاستولوا على المدن التي في طريقهم، فبدءوا بمدينة ورثان (٢) وعاثوا فيها فساداً وقتلوا عدداً كبيراً من سكانها وهدموا سورها بالمجانيق، فتقدم الحارث من عمرو بجيشه واستطاع أن يخرجهم من المدينة بعد مشقة وجهد جهيد (٣) ودخل مع الخزر في أكثر من موقعة ودارت الحرب سجالاتاً بينهما دون تحقيق نتيجة حاسمة لأي من الفريقين، وفي أحد هذه المعارك خر الحارث بن عمرو صريعاً (٤).

هذه الأحداث اضطرت مسلمة إلى العودة لأذربيجان ومباشرة القيادة بنفسه سنة ١٠٩ هـ / ٧٢٧م ودخل مع الخزر في قتال محتدم، وظلت الحرب قائمة بين الطرفين حتى حل الشتاء مما اضطرها إلى الانصراف لحين انتهاء الشتاء، فتوجه مسلمة بالجيش لقضاء الشتاء في قلعة اللان (٥).

(١) خليفة بن خياط، المصدر السابق، ص ٣٢٦، ابن الأثير، الكامل، ج ٥، ص ١٣٢، ابن طباطبا، الفخري في الأدب السلطانية، ط القاهرة، ١٣١٧ هـ، ص ١١٩.

Muire : Op.cit, P. 397 .

(٢) انظر الخريطة الملحقة بالبحث.

(٣) خليفة بن خياط، المصدر السابق، ص ٣٢٨، الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣، ص ٢٢٢.

(٤) الأزدي، تاريخ الموصل، ج ٢، ص ٢٨، ابن الأثير، الكامل، ج ٥، ص ١٤٥.

(٥) خليفة بن خياط، المصدر السابق، ص ٣٢٨، ابن الأثير، الكامل، ج ٥، ص ١٤٠ - ١٤١، بحلان، الفتوحات الإسلامية، ص ١٧٥.

تاريخ الإسلام في أذربيجان ————— من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر العباسي الأول

معركة الطين^(١) ١١٠ هـ / ٧٢٨ م :

واستمرت حالة الكر والفر في الحرب بين الخزر والدولة الأموية ، حيث جمع الخزر جيشاً كبيراً من مختلف أنحاء بلادهم ، وبدأوا اجتياح مناطق القوقاز ، واستولوا على عدد من الحصون والقلع التي تتحكم في الطريق والمر الرئيسي نحو مدن أذربيجان ، فاضطر مسلمة ابن عبد الملك إلى حث الناس على الانخراط في جيشه لمعادلة جيش الخزر ، وبالرغم من نجاح مسلمة في صد هجمة الخزر هذه واستعادة الحصون والقلع التي استولوا عليها غير أنه سرعان ما عاد إلى مدينة باب الأبواب لقضاء الشتاء بها^(٢)

وقبل أن ينقضي الشتاء عاد الخزر مرة ثانية من حيث أتوا قاصدين هذه المرة أردبيل رأساً ؛ مستغلين تواجد مسلمة بالجيش في مدينة باب الأبواب ، فاضطر مسلمة إلى الخروج لملاقاتهم ، وقد دارت المعركة في جو ماطر قارص البرودة ، واستمرت لفترة طويلة سجالاً بين الفريقين إلى أن لاحت بشائر الانتصار للمسلمين ، وحاول الخزر الفرار من ساحة المعركة أمام هجمات الفرسان العرب الصاعقة ، واندفعوا نحو نهر الرس يريدون العبور ، ولكن مياهه السريعة الجريان تخطفهم جماعات جماعات ، حتى لقد قتل أن عدد الذين غرقوا في النهر كان أضعاف الذين قتلوا بسيوف المسلمين ، ولم يستغل مسلمة هذا الانتصار وحالة التشردم والاندحار التي وقع فيها الخزر ولم يتابع فلولهم ، وأثر السلامة مكتفياً بما حقق من نصر وسلك طريق العودة نحو أردبيل^(٣).

(١) معركة الطين : سميت بذلك لوقوعها في جو ماطر وأرض لبخة ومليئة بالطين ، وخلق الكثير منه طلى أرجل الخيل ، مما دفع المسلمون إلى كس أنياب الخيل حتى لا تعوقها في الحركة ، انظر خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٣١٩ ؛ ابن أعمش الكوفي ، التتوح ، ج ٨ ، ص ٢٨٩ - ٢٩٠ .

(٢) الليثوي : تاريخ الليثوي ، ج ٢ ، ص ٣١٧ - ٣١٨ ، الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج ٤ ، ص ١٢٩ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ١٥٥ .

(٣) الطبري ، المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٢٩ ؛ ابن أعمش الكوفي ، المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٢٨٢ - ٢٩٦ .

تاريخ الإسلام في أذربيجان ————— من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر العباسي الأول

ومع حلول العام ١١١ هـ / ٧٢٩ م ، أعاد الخزر الكرة وهاجموا أذربيجان ، حيث استولوا على مدن كثيرة من أذربيجان موقعين الخوف والرعب في نفوس سكانها ، وأهلكوا الحرث والنسل وأتوا على الأخضر واليابس ، وشرعوا في مهاجمة أردبيل ، فتصدي لهم مسلمة بجيشه ونجح في تفريق جموعهم ، غير أنه كرر خطاه السابق حيث لم يتابع فلولهم ولم يقيم بتصفية بعض الجيوب التي خلفوها وراءهم (١) .

موقعة مرج أردبيل ١١٢ هـ / ٧٣٠ م :-

استمرت الحرب بين الخزر والدولة الأموية بصفة شبه سنوية ولم تكد تتوقف منذ عهد يزيد بن عبد الملك (١٠١ - ١٠٥ هـ / ٧٢٠ - ٧٢٤ م) وبالرغم من عدم توقف حملات المسلمين على بلادهم ووقوع عدد من المعارك بين الجانبين خرج المسلمون في معظمها منتصرين ، إلا أن ذلك لم يمنع تكرار هجماتهم على أذربيجان ، كما أن هجمات المسلمين على الخزر لم تكن حاسمة ولم تنجح في كسر شوكتهم ، فلم يكد قادة المسلمين يردون لهم جيشاً حتى يفاجئوا بجيش آخر أكثر عدداً وأحسن عدة ، حتى أنهكوا جيش الخلافة في قتالهم ، وهذا ما دفع هشام بن عبد الملك إلى تغيير ولاية أذربيجان فعزل مسلمة بن عبد الملك وأعاد إليها الجراح الحكمي بحثاً عن نتيجة حاسمة ونصر مبين على الخزر ، وهذا يدل على أن ولاية أذربيجان وحكمها قد يكون مرهون بتحقيق نتائج إيجابية على الجبهة مع الخزر ، وعلى الجانب الآخر فقد أعد الخزر جيشاً جراًماً أضعاف ما تعارف عليه المسلمون ، وعقدوا عدداً من التحالفات مع ملوك جبال القوقاز للاشتراك في الهجوم

(١) البيهقي ، تاريخ البيهقي ، ج٢ ، ص ٣٢٨ ، الطبري ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص ١٣٧ .

تاريخ الإسلام في أذربيجان ————— من الفتح الإسلامي إلى نهايه العصر العباسي الأول

على أذربيجان ^(١) وبدأت هذه الجموع في التحرك نحو أربيل فعبروا نهر الرس ، ^(٢) وبدأ الجراح في الاستعداد للاقتحام وأعاد تنظيم جيشه وضم إليه عدداً من المتطوعين لمواجهة سيل الخنز الجارف ، وخرج بالجيش للاقتحام والنقي بهم عند مرج أربيل ^(٣) شمال أربيل ودار قتال عنيف بين الجيشين وكانت ملحمة عظيمة انتصر فيها الخنز وقتلوا من المسلمين عدداً كبيراً من بينهم القائد الجراح بن عبد الله الحكمي ^(٤) .

وبعد هزيمة جيش الخلافة في مرج أربيل ومقتل عامة الجيش وفرار قلة قليلة منه أصبح طريق الخنز نحو أربيل مفتوحاً ولا يوجد ما يعوقهم ، فلما وصلوها فرضوا عليها الحصار وضربوها بالمجانق ، واستماتت الحامية العسكرية في الدفاع عن المدينة ، ولكن دون جدوى فلا أمل في نجدتهم ، ولما ضيق الخنز عليها الخناق سلمت لهم فقتلوا عناصر الحامية العسكرية ، ونكلوا بسكانها وكان المصاب جلاً على من بها من السكان ^(٥) .

ولم يقف الخنز عند الاستيلاء على أربيل حيث تقدمت جموعهم ، وعاثوا فساداً في منطقة الجزيرة وأرمينية وأذربيجان ، ووصلوا الموصل جنوباً ^(٦) .

(١) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٤ ، ص ١٢٩ ، الأزدي ، تاريخ المرسل ، ج٢ ، ص ٢٢ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج٥ ، ص ١٥٩ - ١٦٢ .

(٢) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٣٤١ ، الطبري ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص ١٣٩ ، الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج٣ ، ص ٣٢٦ ، كوستلر ، القبيلة الثالثة عشرة ، ص ٣٥ .

Mure : The Caliphat, P. 397 .

(٣) الطبري ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص ١٢٩ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج٥ ، ص ١٥٩ ، مهدي أقاسي ، تاريخ خوي ، ط تبريز ، ١٣٥٠ هـ ، ص ١٣ - ١٤ .

Sir John Glubb : The Empire of the Arab, P. 182 - 183 .

(٤) خليفة بن خياط ، المصدر السابق ، ص ٣٢٤ ، الطبري ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص ١٣٩ ، الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج١ ، ص ١٤٤ ، كوستلر ، المرجع السابق ، ص ٣٥ .

Simon Franklin and Jonathan Shepard, the Emergence of Rus 750 - 1200 , London, P. 10 - 11 .

(٥) حلوفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٣٤٢ ، الكوفي ، الفتوح ، ج٨ ، ص ٢٦٧ - ٢٦٩ .

(٦) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٤ ، ص ١٣٩ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج٥ ، ص ١٥٩ - ١٦٢ ، حبلان ، فتوحات الإسلامية ، ص ١٧٢ .

تاريخ الإسلام في أذربيجان ————— من الفتح الإسلامي إلى نهايه العصر العباسي الأول

وأخذت تنعقد في الأفق سحب داكنة أخذت تزحف ببطيء نحو دمشق مهددة ومعرضة الخلافة الأموية ذاتها إلى خطر الهلاك ، فوقع اختيار هشام بن عبد الملك على سعيد الحرشي لولاية أذربيجان وحرب الخزر^(١).

ولم يكن اختيار سعيد الحرشي من باب المصادفة ، إذ أنه وبالإضافة إلى كفاءته العسكرية كانت له خبرة وسابق معرفة بقتال الترك في خراسان وله معهم صولات وجولات ؛ فبذل جهوداً كبيرة في إعادة إحياء هذه الجبهة ، فكان في سيره نحو أذربيجان يستنهض همم الناس ويحثهم على الجهاد ومقاتلة الخزر ، وأخذ يجمع شعث وشتات جيش الجراح ثم شرع في تعقب جيش الخزر ويسترد ما استولوا عليه المدينة تلو الأخرى ، حيث بدأ بمدينة خلاط فضرب عليها الحصار إلى أن استرجعها من أيديهم^(٢).

وانتقل منها إلى مدينة بردغة التي فر منها الخزر ، فخرج إليه أهلها مستبشرين وانخرط عدد كبير منهم في جيشه ، ثم توجه إلى مدينة ورتان ، حيث كان الخزر قد فشلوا في حصارها فتركوها وولوا هارين فدخلها الجراح بجيشه^(٣).

واتجه الحرشي بعد ذلك بجيشه نحو مدينة أردبيل حيث نجح في استعادة السيطرة عليها ، وبدأ في الاستعداد للدخول مع الخزر في معركة فاصلة ، فبدأ يتحرك بالجيش صوب جموعهم حيث عسكروا على مقربة من مدينة ورتان ، فوصل قريباً منهم ليلاً ، ومع أول خيط للفجر انقض على معسكر الخزر وأعمل فيهم القتل بعد أن عم الهرج والمرج صفوفهم ففر عدد كبير منهم إلى مدينة يرزند^(٤) وتحصنوا بها ، فتقدم الحرشي نحوهم واشتبك

(١) ابن أعثم الكوفي ، المصدر السابق ، ج٥ ، ص ٢٧٠ - ٢٧١

(٢) ابن الأثير ، الكامل ، ج٥ ، ص ١٦٠ - ١٦٢ ، حلان ، المرجع السابق ، ص ١٧٢

(٣) الكوفي ، المصدر السابق ، ج٥ ، ص ٢٧٢ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج٥ ، ص ١٥٩ - ١٧٢ ، ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ج٣ ، ص ١١٢ .

(٤) يرزند - مدينة أهلة بالسكان بالقرب من أردبيل تعد ثالث مدن أذربيجان من حيث الأهمية بعد أردبيل وتبريز . انظر : السقسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٣٧٨ ، الحموي ، معجم البلدان ، مج١ ، ص ٣٠٢ - ٣٠٣ .

تاريخ الإسلام في أذربيجان ————— من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر العباسي الأول
 معهم في معركة فاصلة واستمات الخزر في الدفاع عن مراكزهم الأمامية وأجبروا المسلمين
 على التراجع والتقهقر للخلف ، وبدأت تلوح في الأفق نذر الهزيمة ، ولم ينقذهم في هذه المعركة
 من هزيمة قاسية سوى سماعهم أصوات استغاثة الأسرى المسلمين الذين وقعوا في قبضة
 الخزر وهم ينادون عليهم ويناشدونهم بالله ورسوله أن يفكوا أسرهم ، فحض المسلمون
 بعضهم بعضاً وتقدموا واضطروا الخزر إلى الفرار من ساح المعركة فسقط الكثير منهم غرقى
 في نهر الرس ، وحمل المسلمون أسراهم وغنائمهم وأسلابهم وعادوا بها إلى مدينة باجروان
 لالتقاط الأنفاس وترتيب الأوراق (١) .

وعلى ما يبدو أن هذه الهزيمة قد آلت الخزر كثيراً فأعادوا تنظيم جيش آخر أكثر
 عدداً وأفضل عتاداً بقيادة نارستك نجل خاقان الخزر . وتوجه هذا الجيش وعسكر على
 مقربة من مدينة البيلقان فاستخلف الحرشي على أذربيجان وترك لها حامية عسكرية
 لحمايتها ، وانتقل بالجيش حيث التقى بالخزر عند نهر البيلقان (٢) وبعد أول يوم
 من القتال مال كل فريق إلى فئته بعد أن جن عليهم الليل ، وقبيل الفجر باغت الحرشي
 بجيشه الخزر وأخذوهم على حين غرة وقتلوا منهم أعداداً كبيرة وتكفل نهر البيلقان بالبقية
 الباقية ، حيث غرق فيه الكثير بعد أن جرفتهم سرعة تياره ، وأرسل الحرشي إلى هشام بن
 عبد الملك يخبره بما كان بينه وبين الخزر من أحداث ومعارك ، وبما فتح الله على يديه (٣) .

(١) الكوفي ، الفتوح ، ج ٨ ، ص ٢٨٠ - ٢٨٤ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ١٥٩ - ١٦٢ ، ابن خلدون ، العبر
 وديوان المبتدأ والخبر ، ج ٣ ، ص ١١٢
 (٢) البغدادي ، تاريخ البغوي ، ج ٢ ، ص ٢١٧ ، الكوفي ، المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٢٧٩ ، حلائن ، الفتوحات
 الإسلامية ، ص ١٧٤ .
 (٣) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٣٤٢ ، البغدادي ، تاريخ البغوي ، ج ٢ ، ص ٣١٧ ، الذهبي ،
 تاريخ الإسلام ، ج ٢ ، ص ٣٤٦ ، كيمتزر ، القبيلة الثالثة عشرة ، ص ٣٥ .

تاريخ الإسلام في أذربيجان ————— من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر العباسي الأول

ويعد هذا الانتصار الذي حققه الحرشي على الخزروقع له ما لم يكن في الحسينان :
إذ أن مسلمة بن عبد الملك - والي الجزيرة وأرمينية وأذربيجان - أهان سعيد الحرشي وأغلظ له القول وأمر بسجنه وحمله في الأغلال . بعد عزله عن ولاية أذربيجان ، ولم ينقذ الحرشي من هذا الموقف الصعب سوى علم هشام بن عبد الملك بما حدث له وأمره لمسلمة بفك أسرهِ وتكريمه ووبخ مسلمة على ما بدر منه تجاه الحرشي (١).

وعلى ما يبدو أن مسلمة بن عبد الملك قد أقدم على هذا العمل عقاباً لسعيد الحرشي الذي تخطاه على سلم ترتيب المناصب وقام بمخاطبة هشام بن عبد الملك الخليفة رأساً دون الرجوع إلى المنصب الأعلى منه مباشرة وهو مسلمة ودون أن يطلعه على تفاصيل الأحداث .

هذه الأحداث التي أعقبت انتصار الحرشي على الخزر كانت دافعاً لعودة مسلمة بن عبد الملك إلى أذربيجان ومباشرة مهام عمله منها بنفسه ، وأراد أن يستغل انتصار الحرشي على الخزر وحالة الوهن التي أصابتهم فقام بمطاردة فلولهم وتصفية ما تبقى لهم من جيوب مقاومة وتعقدتهم من حصن إلى آخر إلى أن انتهى إلى مدينة باب الأبواب فقضى بها الشتاء ، وقام بإعادة بناء مدينة أردبيل وترميم حصونها وأسوارها لأنها خط الدفاع الأول ليس لأردبيل وحدها بل لكل أذربيجان (٢) .

ومع مطلع صيف عام ١١٣ هـ / ٧١٣ م ، واصل مسلمة نشاطه الحربي ، فخرج بجيش كبير استهل به القلاع والحصون الموجودة في جبال القوقاز فاستولى على عدد كبير

(١) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص ٣١٧ ، أديب السيد ، أرمينية في التاريخ العربي ، ص ٩٥
(٢) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٣٤٣ ، الكوفي ، الفتوح ، ج٤ ، ص ٢٨٠ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ١٦٢ .

تاريخ الإسلام في أنريجان ————— من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر العباسي الأول
 منها ، ثم أردف بالاستيلاء على مملكة شروان^(١) وعقد اتفاق صلح مع حاكمها ثم عرج
 نحو الخزر؛ فتوغل في عمق أراضيهم حتى وصل جبال مدينة بلنجر حاضرة الخزر، ودخل
 معهم في معركة لم تكن متكافئة إذ بدأ الخزر متأثرين بما وقع لهم من هزائم على يد الحرشي
 ومسلمة فدارت عليهم الدائرة وحاقت بهم الهزيمة ، وأصبح الطريق مفتوحاً أمام مسلمة
 إلى مدن الخزر الرئيسية بعد فرار جيش الخزر، غير أن مسلمة تريث كثيراً حتى وصل
 به إلى درجة التباطؤ، واغتر بنصره عليهم وظن أنه لن تقوم لهم قائمة ، فاستغل الخزر هذا
 الموقف وشكلوا جيشاً آخر وأخذوا زمام المبادرة وهاجموا جيش مسلمة الذي أثر التراجع
 وكان قصاره السلامة ونادي في الجيش بالانسحاب وانحاز إلى أقرب فئة ، فتوجه
 بالجيش إلى مدينة باب الأبواب وتحصن بها^(٢) .

ولاية مروان بن محمد أربيل ١١٤ هـ / ٧٣٢م :-

كان مروان بن محمد أحد أفراد جيش مسلمة بن عبد الملك الذي خاض الحرب
 مع الخزر وملوك جبال القوقاز ورأي بأم عينيه ما حدث من إهانة لسعيد الحرشي
 وما ارتكبه مسلمة من أخطاء بعضها إدارية ومعظمها حربية ، وقد ألمتة كثيراً هذه الأحداث
 فأعتمت فرصة توقف القتال ، وذهب سراً إلى دمشق واجتمع بالخليفة هشام بن عبد الملك
 وأعرب له عن استيائه الشديد من تصرفات مسلمة الإدارية والحربية ، وأوقف الخليفة
 هشام على طبيعة الموقف في الحرب مع الخزر ، وسرد له أخطاء وسقطات مسلمة وطلب
 منه أن يوليّه إمرة أنريجان وأن يمدّه بجيش كبير لمنازلة الخزر ، ويزيل عن الخلافة

(١) شروان : مدينة وثلمة في جبال القوقاز على الطريق الرئيسي المؤدي إلى مدينة باب الأبواب ، على بحر الخزر
 (قزوين) وتقع إلى الشمال الشرقي من مدينة أربيل ، وسميت بذلك نسبة إلى أول من بناها وهو كسري
 أنوشروان ، انظر : الحموي ، معجم البلدان ، مج ٣ ، ص ١٣٧ .

(٢) خليفة بن خياط ، المصدر السابق ، ص ٣٤٤ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ، ص ٣١٧ - ٣١٨ ؛ الطبري ،
 تاريخ الأمم والملوك ، ج ٤ ، ص ١٤٩ .

تاريخ الإسلام في أذربيجان ————— من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر العباسي الأول

الأموية غبار الفرار المهين الذي اتبعه مسلمة في آخر جولات الحرب معهم ، فأجابه هشام إلى ما أراد (١).

وللحقيقة فإن مروان بن محمد كان يتمتع بعبقرية عسكرية ، وكان يجيد الخدع العسكرية ، حيث أعاد تشكيل الجيش من جديد ، وغير من تنظيماته ليواكب ويناسب طبيعة الحرب مع الخزر ، حيث اعتمد في تشكيل الجيش على نظام الكراديس (الوحدات الصغيرة) التي تعطي الجيش تماسكاً وسرعة في الحركة (٢).

وتعتبر ولاية مروان بن محمد لأذربيجان فتحاً كبيراً وبداية لمرحلة فارقة في تاريخها إذ أنه أعاد لها استقرارها وهيبه الدولة الأموية في الحرب مع الخزر ، حيث اتبع تكتيكات حربية ماهرة ؛ فبعد أن واه الخليفة هشام بن عبد الملك أذربيجان وحرب الخزر طلب منه أن يمدّه بمائة وعشرين ألف مقاتل وأن لا يعلن وجهة هذا الجيش وأن يظل ذلك سراً حتى يحقق ما يريد ، فتحرك بالجيش وأظهر أنه يريد اجتياح مناطق القوقاز وأنه يريد أن يتفرغ لهذا العمل وأرسل إلى الخزر يطلب المهادنة وعقد اتفاق سلام معهم ، فأجابه إلى ما أراد ، وأرسلوا إليه من يقرر بنود الصلح ، فلما جاءه الرسل ظل يماطلهم حتى استكمل استعداداته الحربية ، ولما أصبح على أهبة الاستعداد طردهم وأذنهم بالحرب وسيرهم إلى بلادهم عبر طريق فيه بعد ومشقة ، وسار هو بجيشه نحو الخزر من أقصر الطرق فما أن وصلت رسل الخزر إلى بلاط خاقانهم إلا ومروان في عقبهم يطرق أبوابهم وأخذهم على حين غرة ، فلم يجد الخزر سوي محاولة الفرار ، ومروان يتعقبهم بجيشه ، حتى وصل

(١) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ١٧٧ - ١٧٩ ، ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ج ٣ ، ص ١١٤ ، حلائن ، الفتوحات الإسلامية ، ص ١٨٣ .

(٢) وسام عبد العزيز ، العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية ، ص ٢٢٤ - ٢٢٥ ، قلهووزن ، الدولة العربية ، ص ٣٥٧ - ٣٥٨ .

تاريخ الإسلام في أذربيجان ————— من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر العباسي الأول

إلى أقاصي بلادهم ، وفي طريق عودته أخذ يدمر مدنهم الرئيسية ، حتى لا تقم لهم قائمة سريعاً ثم بدأ رحلة العودة إلى أذربيجان (١) .

وفي طريق عودته إلى أذربيجان عرج مروان بجيشه على جبال القوقاز ، وتنقل بين حصونها الرئيسية ، فاستهل حملته باقتحام مملكة السرير (٢) وأرغمهم على دفع فدية سنوية ، ثم توجه إلى قلعة حمزين (٣) وسخطها عنوة ، وفرض عليها فدية سنوية من مال وعبيد تدفع بصفة دورية ، ثم جاز الدرب نحو مملكة اللكز (٤) فحاول حاكمها الفرار واللجوء إلى الخزر فقتله أحد أتباعه ، وعين مروان عليها حاكماً جديداً ، ثم عاد إلى أذربيجان (٥) .

وبالنظر إلى حماسة مروان ونيته التي أظهرها في قتال الخزر ، كان المأمول أن يواصل الحرب معهم حتى يقضي على خطرهم ، ولكنه بعد هذه الحملة المزدوجة على الخزر وملوك القوقاز توقف عن الحرب بصورة مفاجئة ، ومكث في أذربيجان ثلاث سنوات متوالية ، وعلى ما يبدو أن الحرب مع الخزر قد تأثرت بأحداث العالم الإسلامي آنذاك ففوق الطاعون الذي ضرب الشام والعراق سنة ١١٥ هـ / ٧٣٣ م ، وربما القحط الشديد

(١) ابن الأثير ، الكمل ، ج٥ ، ص ١٧٧ - ١٧٩ ، الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج٣ ، ص ٣٤٨ - ٣٤٩ ، دحلان ، الفتوحات الإسلامية ، ص ١٨٣ .

(٢) مملكة السرير : أحد القلاع الحصينة بالقرب من باب الأبوب إلى الشمال الشرقي من أربيل ، وهي الآن ضمن حدود جمهورية الداغستان ، أحد جمهوريات الاتحاد الروسي . انظر : العموي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص ١٩٧ ، الكردبزي ، زين الأخبار ، ص ٢٧٨ ، أمين واصف ، الفهرست ، معجم الخريطة التاريخية للممالك الإسلامية ، ص ١٩ .

(٣) قلعة حمزين : أحد القلاع الحصينة الواقعة في سلسلة جبال القوقاز إلى الشمال من أذربيجان ، انظر ابن القتيبة ، مختصر كتاب البلدان ، ص ٢٩٦ .

(٤) مملكة اللكز : مملكة واسعة ذات أنابيب ومدن وقرى في سفوح جبال القوقاز ، إلى الشمال الشرقي من أذربيجان انظر ، ابن الوردي ، خريدة للعجائب وفريدة الغرائب ، ص ٨٣ ، أبو الفداء ، تقويم البلدان ، ص ٣٨٦ - ٣٨٧ .

(٥) ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ج٣ ، ص ١١٥ ، الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج١ ، ص ١٤٧ ، دحلان ، المرجع السابق ، ص ١٨٤ .

تاريخ الإسلام في أنريجان ◊ ————— ◊ من الفتح الإسلامي إلى نهايه العصر العباسي الأول
الذي أصاب خراسان^(١) وهذه الأقاليم تعتبر من الناحية العملية مستودع الإمدادات
لجيوش الخلافة الأموية كما أنها هي الظهير الحربي لجهة الخزر وبيزنطة ، ويمكن اعتبار
المصاب الأليم الذي أصاب الدولة الأموية في موقعة بلاط الشهداء^(٢) جنوب فرنسا
وارتداد جيوش الخلافة عن جنوب أوروبا^(٣) ويمكن اعتبار هذه العوامل سبباً في حدوث
فترة السكون التي أعقبت أولي صولات مروان مع الخزر .

ويبدو أن الخزر وملوك جبال القوقاز قد أرادوا استغلال حالة الوهن والحرز
التي عمت العالم الإسلامي وأخذوا يتعاونون فيما بينهم لشن حملة جديدة على أنريجان
يربون بها اعتبارهم بعد هزيمتهم السابقة ، غير أن مروان كان سباقاً في الهجوم ، فخرج
إليهم بجيشه سنة ١١٧ هـ / ٧٣٥م وشن عليهم حرباً وقائية واستولي على عدد من الحصون
والقلاع التي أبدت تعاوناً مع الخزر واحكم قبضته على الطرق والممرات على الطريق
الرئيسي إلى بلاد الخزر^(٤) .

ولما دهم الشتاء مروان قفل عائداً إلى أنريجان ثم عاد مرة ثانية إلى جبال القوقاز
سنة ١١٨ هـ / ٧٣٦م ، واستولي على معظم القلاع والحصون القريبة من أنريجان والتي قد
تشكل خطراً عليها^(٥) .

(١) انظر : ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٩ ، ص ٣١٢ ، وسلم عبد العزيز فرج ، العلاقات بين الإمبراطورية
البيزنطية والدولة الأموية ، ص ٢٩٩ .
(٢) بلاط الشهداء : في المصدر العربية لوتور بولتيه في المصدر الغربية ، موقعة شهيرة في تاريخ الإسلام والتاريخ
العالمي ، وقت سنة ١١٤ هـ / ٧٣٢م ، ص تفاصيلها انظر : محمد بن عبد الله عثان ، دولة الإسلام في الأندلس ،
ج١ ، ط القاهرة ، ٢٠٠١م ، ص ١٠٠ - ١٠٩ ، وسلم عبد العزيز فرج ، المرجع السابق ، ص ٢٢٦ - ٢٨ .
(٣) محمد عبد الله عثان ، المرجع السابق ، ج١ ، ص ١١٢ ، وسلم عبد العزيز ، للمرجع السابق ، ص ٢٢٦ - ٢٧ .
(٤) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ص ٣٤٨ ؛ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٤ ، ص ١٥٧ ، الأردني ،
تاريخ الموصل ، ج٢ ، ص ٣٨ .
(٥) خليفة بن خياط ، المصدر السابق ، ص ٣٤٨ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج٥ ، ص ١٩٨ ؛ الدبي ، تاريخ الإسلام ،
ج٢ ، ص ٣٥٠ .

ورأى مروان في محاولات ملوك جبال القوقاز التحالف مع الخزر خطراً يهدد حدود الدولة الأموية ووجودها في أذربيجان ، فشن عليهما حرباً عسكرياً موسعة ، بدأها بقلعة اللان سنة ١١٩هـ / ٧٢٧م ، حيث ضرب عليها الحصار إلى أن سقطت في يديه ، فقام بتدمير تحصيناتها ، ثم عرج نحو مناطق الخزر ، فاستولى على أهم مدنها الرئيسية فدخل مدينة بلنجر بدون عناء ، ثم استولى على مدينة سمندر^(١) ومنها انتقل إلى مدينة البيضا حيث فر إليها خاقان الخزر ووزراءه وخاصته ، وضرب عليها الحصار وضيق عليهم الخناق حتى يئس الخزر من تراجع مروان ، فخرجوا منها هائمين على وجوههم ، فدخلها مروان وأقام بها وجعلها قاعدة لانطلاق حملات الإغارة والتتبع لفلول الخزر الهاربة^(٢) .

وقد تواصلت هذه الحملة إلى عام ١٢٠هـ / ٧٢٨م ، حيث امتد نشاط مروان إلى ما تبقي من مناطق الخزر الشمالية النائية ، وفي طريق عودته إلى أذربيجان ، سلك الطرق المؤدية إلى ممالك وملوك جبال القوقاز فاستولى على ما كان قد خرج عن قبضته من حصون وقلاع^(٣) .

وفي العام ١٢١هـ / ٧٢٩م ، أعاد مروان الكرة بالهجوم على جبال القوقاز ، وكانت وجهته هذه المرة مملكة السرير وما جاورها من قلاع وحصون ، فدخلها عنوة وفرض على حكامها دفع فدية سنوية^(٤) .

(١) سمندر : أحد أهم مدن الخزر الشمالية ، وهي من بناء الملك الفارسي أنوشروان بن كباد بن كسري وقديماً كانت عاصمة الخزر ، فلما دخلها سلمان بن ربيعة الباهلي انتقل الخزر ضها إلى مدينة إبل انظر : ابن خردادبة ،

الممالك والممالك ، ص ١٢٤ ، الحموي ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص ٧١ .
(٢) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٣٤٩ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج٥ ، ص ٢١٥ ، الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج٣ ، ص ٣٥٠ .
John Glubb: The Empire of the Arab, P. 201 .

(٣) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٤ ، ص ١٨١ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج٥ ، ص ٢٢٨ ؛ ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ج٣ ، ص ١٦٧ - ١٦٨ .

(٤) خليفة بن خياط ، المصدر السابق ، ص ٣٥١ ؛ الطبري ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص ١٩٣ ؛ ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ، ج١ ، ص ١٧٥ ؛ التفتشندي ، مآثر الإثناة ، ج١ ، ص ٩٦ ؛ محمود شوب خطاب ، مروان بن محمد بن مروان بن الحكم ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، ج١ ، المجلد الخامس والثلاثون ، ربيع الثاني ، ١٤٠٤هـ / كانون الثاني ١٩٨٤م ، ص ٣٨ - ٣٩ .

تاريخ الإسلام في أذربيجان ◊ ————— ◊ من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر العباسي الأول

وأعقب هذا النشاط العسكري المحموم الذي قام به مروان بن محمد والي أذربيجان - فترة من السكون طالقت قليلاً إلى بداية عصر الدولة العباسية ، وللحقيقة فإن ظروف الدولة الأموية الخارجية والداخلية قد فرضت هذا السكون ، ففي سنة ١٢٢هـ / ٧٣٩ - ٧٤٠م لقيت الدولة الأموية الهزيمة في الحرب مع بيزنطة في موقعة اكروينون ^(١) وقتل القائد عبد الله البطال ^(٢) ، كما أن الاضطرابات بدأت تَوجُّج في الدولة الأموية منذ أواخر عهد هشام بن عبد الملك ، ففي الشرق من الدولة الأموية قامت حركة معارضة قوية وتدمر أهل السند بسبب الجزية التي كانت تؤخذ منهم رغم دخولهم الإسلام ، ولقد حاول هشام قدر جهده وقف الفتنة والقضاء على عوامل الاضطراب ، ولكن كانت الظروف أقوى منه والأرض تميد من تحته ، ومنذ منتصف عهد هشام بدأت الأمور تضرب في الغرب وكان البربر وراء هذا الاضطراب الذي زلزل كيان الدولة الأموية بعنف ، حيث تدمر البربر من العمال العرب بعد موت عمر بن عبد العزيز لأنهم صاروا يعاملونهم معاملة سيئة ويذلونهم بأداء الجزية رغم كونهم مسلمين صادقين في إسلامهم ويشتركون معهم في الجهاد بحماس ولقد أدت هذه المعاملة إلى إغيار صدور البربر على الدولة الأموية ، كما اضطرت الأندلس بالفتن وخرجت من حظيرة الدولة الأموية ، ولم يبق للخلافة عليها سوى سلطة اسمية واستقل الزعماء المتغلبون بحكم إفريقية بعد أن خرجت أطرافها القصوى عن قبضته الخلافة ، وأخذ ملك بني أمية يهتز فوق بركان مضطرب من الدعوة العباسية ^(٣) .

(١) موقعة اكروينون : وقعت بين المسلمين والبيزنطيين سنة ١٢٢هـ / ٧٣٩م - ٧٤٠م بالقرب من ثم الأناضول ، ولقي فيها المسلمون بقيادة البطال الهزيمة على أيدي البيزنطيين بقيادة ليو الأيسوري وكانت هذه الهزيمة سبباً في تضارول هجمات العرب على وسط آسيا الصغرى ، انظر : وصام عبد العزيز فرح ، العلاقات بين الدول البيزنطية والدول الأموية ، ص ٢٣٤ - ٢٣٨٩ .

(٢) عبد الله البطال : من مشاهير القادة الأمويين لتصف بالشجاعة ، ولقد بلغ من فرط شجاعته أن قادة الروم كانوا يخشون الجيش الذي يقوده وله وقائع وقصص كثيرة . وللمزيد انظر : ابن كثير ، النبذة والنهية ، ج ٩ ، ص ٣٣٥ - ٣٣٧ ، حلجان ، الفتوحات الإسلامية ، ص ١٨٩ - ١٩٠ .

(٣) وللمزيد من التفاصيل انظر : محمد عبد الله عثان ، دولة الإسلام في الأندلس ، ج ١ ، ص ١٤٠ - ١٤٦ ، العربي ، الدولة البيزنطية ، ص ١٨٦ ، وصام عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص ٢٣٣ وما بعدها .

تاريخ الإسلام في أذربيجان ————— من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر العباسي الأول

وإجمالاً فقد كانت الأرض تميد تحت أقدام الأمويين ، وكان هشام بن عبد الملك هو آخر خليفة أموي قوي أراد أن يؤخر النهاية المحتومة قدر الاستطاعة ، وحينما بدأت الحرب الأهلية في الاندلاع في جوف الدولة الأموية عام ١٢٧ هـ / ٧٤٤ م ، انفرط عقد الأمان والاستقرار الذي كانت أذربيجان تتميز به لظلال فترة ولاية مروان بن محمد وأقبلت إليها الفتن تَموج موجاً حيث لم تكن بمنأى عما يحدث في ربوع الدولة الأموية من قلاقل وفتن فما كاد مروان يغادر إلى الشام حتى أعلنت حامية أذربيجان العسكرية العصيان بزعامة ثابت بن نعيم الجزامي ، وتحرك هؤلاء الجند إلى مناطق جبال القوقاز وتحصنوا بها فاضطر مروان إلى العودة أدراجه وقاتلهم إلى أن استطاع القبض على ثابت بن نعيم وأعاناه فوضعهم في القيود (١) .

وما كاد مروان يجاوز هذا العصيان حتى استعر الصراع المحوم بين الخوارج للسيطرة على أذربيجان ، حيث أن مروان قد استناب على المدينة عاصم بن يزيد الذي انتقل بحاميته العسكرية إلى مدينة البيلقان ، فاستغل خوارج الشراة هذا الفراغ واستولوا على أربيل وأخذوا يحشدون حشودهم فيها وبدأ زعيمهم مسافر بن كثير القصاب في الخروج لقتال عاصم بن يزيد في البيلقان ، وبالرغم من أن عاصم أرسل إلى مروان يستنجده فأمدّه بجيش كبير . ولما التقى الفريقان بالقرب من نهر البيلقان ، تمكن الخوارج من هزيمة جيش الخلافة وقتل قائده عاصم واستولوا على ما كان بجيشه من ثنائم وأسلاب ودخلوا مدينة البيلقان واستولوا عليها (٢) .

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١ ، ص ١٠٤ ، ٢٩ ، نلهوزن ، الدولة العربية ، ص ٢٠٨ .

(٢) الكوفي ، الفتوح ، ج٨ ، ص ٣٢٧ - ٣٣٨ .

تاريخ الإسلام في أذربيجان ————— من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر العباسي الأول

وتولي إمرة أذربيجان بعد عاصم القائد عبد الملك بن مسلم العقيلي وأمه مروان بجيش آخر، وضم إليه بقايا جيش عاصم، وأصبحت المهمة صعبة على الوالي الجديد إذ أن الخوارج الشراة تكاثرت أعدادهم وانتشرت دعوتهم ولاقت ترحيباً كبيراً ليس في أذربيجان وحدها ولكن امتد إلى أذربيجان ومنطقة الجزيرة، ولما دارت رحى الحرب بين جيش الخلافة وخوارج الشراة في موقع يسمى جسر الحجارة، وقتل عبد الملك بن مسلم العقيلي فتولي القيادة بعده أخوه إسحاق، ودارت الحرب سجالاً بين الفريقين إلى أن تمكن إسحاق من هزيمة الشراة وقتل زعيمهم مسافر بن كثير القصاب (١).

وفي عام ١٢٨ هـ / ٧٤٥ م، استطاع الخارجي بسطام بن ليث التغلبي زعيم خوارج البيهسية (٢) من السيطرة على مدينة أربيل وعدد من مدن أذربيجان وعانوا فيها فساداً وأهلكوا الحرث والنسل واعترضوا طريق القوافل التجارية، واستولوا على كثير منها وأشاعوا الخوف والرعب بين الناس، فأرسل إليهم مروان بنائبه عبد الملك بن زيد فلم يستطع فعل شيء بل إنه لقي حتفه في قتالهم (٣) وازدادت معاناة سكان المدينة حيث، تتأزج الخوارج أنفسهم للسيطرة على المدينة، حيث نازع سعيد بن بهدل الشيباني بسطام الليثي السيطرة على أذربيجان، وتمكن الخيري قائد سعيد بن بهدل من طرد بسطام الليثي من أذربيجان وأخضعها لحكم سعيد بن بهدل (٤).

(١) الكوفي، نفسه، نفس المصدر، ج٨، ص ٣٣٨.

(٢) البيهسية: أحد فرق الخوارج التي تنسب إلى أبي بيهس بن جابر، ومما جاء به الولاية لأولياء الله والدار دار كفر والاستعراض فيها جائز وإن أصيب الأطفال فلا حرج، وقال: أن مخالفتهم هم أعداء كأعداء رسول الله ﷺ تحل الإكامة معهم كما فعل المسلمون الأوائل، انظر: ابن قتيبة، المعارف، ص ٦٢٢، الرازي، كتاب الزينة، ص ١٢٨٤، عمر أبو النصر اليافعي، الخوارج في الإسلام، ط بيروت، ١٩٥٨، ص ١٢١.

(٣) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٨٠، الحنبلي، شذرات الذهب، ج١، ص ١٨٤.

(٤) خليفة بن خياط، المصدر السابق، ص ٣٨٠، الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ٢٨٣ - ٢٨٤، فلهوزن الدولة العربية، ص ٣٧٤.

تاريخ الإسلام في أذربيجان ————— من الفتح الإسلامي إلى نهايه العصر العباسي الأول

ولم يمهل القدر سعيد طويلاً ، فبعد وفاته استخلف الخوارج الضحاك بن قيس الشيباني فأحكموا قبضتهم على أذربيجان ، وصارت تحت لوائهم الآلاف من الإبتاع استطاع أن يرد بهم أكثر من جيش مروان ، وامتد نفوذهم إلى الكوفة التي سيطروا عليها ^(١) .

وبدأت بوادر النجاح تلوح أمام حركة الخوارج بزعامة الضحاك أكثر مما لاحت لمروان بن محمد ، الذي تعرض لضباع منطقة الجزيرة بأكملها ، مما اضطره إلى تكوين جيش ضخم قاده بنفسه والتقى بالضحاك فهزمه وقتله فاستخلف الخوارج عليهم الخبيري فالتقى به مروان هو الآخر ولم يثبت مروان هذه المرة أمام شدة هجمات الخوارج وفر من الجيش فدخل الخبيري خيمته وجلس على أريكته ، غير أن موالي مروان تكاثروا عليه وقتلوه في أواخر العام ١٢٨هـ / ٧٤٥ - ٧٤٦ م ؛ فاختار الخوارج شيبان بن عبد العزيز اليشكري ليقودهم ، وظل مروان يتتبع فلول الخوارج ويرسل لهم الجيش تلو الآخر حتى قتل شيبان بن العزيز اليشكري وشرذم أتباعه ^(٢) .

ولقد سر مروان بنهاية الخوارج سروراً كبيراً ، ولكن لم يتم له سروره ، إذ أعقبه القدر بمن هو أقوى شوكة وأعظم أتباعاً وأشد بأساً من الخوارج ، وهو أبو مسلم الخراساني داعي دولة بني العباس ، وبالرغم من قدرة وكفاءة مروان العسكرية ومهارته السياسية إلا أن أيام الدولة الأموية كانت مدبرة والأرض تتزلزل من تحتهم ^(٣) وقبيل انتهاء الدولة الأموية كان مروان قد استناب على أذربيجان إسحاق بن مسلم العقيلي ^(٤) .

(١) ابن تقيية ، المعارف ، ص ٤١٢ ، الطبري ، المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٨٢ - ٢٨٤ ، الثعالبی ، لب الملوك ، تحقيق خليل عطية ، ط بيروت ، ١٩٩٠ ، ص ٧٥ .

(٢) الطبري ، المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٣٠٠ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٠ ، ص ٣٢ - ٣٣ .

(٣) وللمزيد عن تفاصيل هذه الأحداث انظر : ابن ماجة القزويني ، تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد مطيع الحافظ ، ط بيروت ، ١٩٧٩ م ، ص ٣٥ ، فلان فلوتن ، السيادة العربية بين الشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية ، ترجمة حسن إبراهيم حسن / محمد زكي إبراهيم ، ط القاهرة ، ١٩٣٤ ، ص ١١٣ ، راضي عبد الله ، تصفية المقاومة الأموية في العراق ومصر والشام ، مجلة المؤرخ المصري ، العدد الثاني ، يوليو ١٩٨٨ ، ص ١٢ .

(٤) ابن عدي ربه الأندلسي ، لنجد القريد ، ج ١ ، ص ١٩٠ ، صابر محمد دياب ، أرمنية ، ص ٥٦ - ٥٧ .

Grousset : Histoire des L'Armenie , P. 318 .

تاريخ الإسلام في أذربيجان ————— من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر العباسي الأول

أذربيجان في عصر ولاة بني العباسي :

حدث أن عمت الاضطرابات وأواخر عصر الدولة الأموية ربوع البلدان الخاضعة لسيادتها ولم تكن أذربيجان بعيدة عن هذه الأحداث ، فعلى الرغم من إسدال الستار على دولة الأمويين في الشرق إثر انهزام مروان بن محمد أمام العباسيين في موقعة نهر الزاب الأكبر بشمال العراق ، ثم فراره إلى مصر ومقتله بها ، وبالرغم من أن سلطان العباسيين قد غلب على معظم أرجاء الدولة الأموية إلا أنه كانت هناك بعض جيوب المقاومة التي استعصت على جيوش العباسيين ، وكانت أذربيجان أحد أهم هذه الجيوب التي قاومت العباسيين ، حيث أعلن جيوش واليها الأموي إسحاق العقيلي العصيان ورفض الإذعان لطاعة العباسيين ، وشعر العباسيون بالعجز أمام صمود أذربيجان إلى أن يقنع إسحاق بن مسلم العقيلي من مقتل مروان بن محمد أخيراً الخلفاء الأمويين فجزت المراسلات مع قائد العباسيين المحاصر لأردبيل عاصمة أذربيجان عبد الله بن علي ، لأخذ الأمان والتسليم لهم (١) .

ولم تكن أردبيل بالقوة التي تجعلها تناصب الدولة العباسية الوليدة العداء والصمود في وجهها ولكن يجب أن لا ننفل أنه كان لا يزال في الأمة العربية والإسلامية قواد ضلعهم مع بني أمية ولا يزال عندهم شيء من القوة صمدوا بها في وجه الدولة العباسية إما خوفاً على أنفسهم من انتقام وسطوة العباسيين الذين أظهروا قسوة شديدة في معاملة مخلوبيهم وإما طمعاً في إعادة بعث تلك الدولة التي كانت لهم منها نصيب وافر ، وإما احتراماً ووفاءً للعهد والبيعة التي كانت في أعناقهم لأخر الخلفاء الأمويين .

(١) ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ج ٣ ، ص ٢٦٩ ، عبد المنعم ماجد ، العصر العباسي الأول أو القرن الذهبي في تاريخ الخلفاء العباسيين ، ج ١ ، ط القاهرة ، ١٩٨٥ ، ص ٥٣ .

تاريخ الإسلام في أذربيجان ————— من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر العباسي الأول

هذا الاستعصاء والمقاومة الشديدة التي أبدتها أذربيل جعل ولاة الأمر العباسيين يدركون مدى أهمية أذربيجان وقيمتها العسكرية يظهر ذلك في قيام أبو العباس السفاح (١٣٢ هـ / ١٣٦ هـ / ٧٥٠ - ٧٥٤ م) بتعيين أخيه وولي عهده أبو جعفر المنصور والياً على أذربيجان فترة حكمه (١).

ولما كانت الدولة العباسية في طور التكوين ، فقد ظل المنصور إلي جانب أخيه أبو العباس السفاح واستناب عليها مجاشع بن يزيد (٢) وما أن وصل مجاشع أذربيجان حتى بدأت المتاعب تنهال على رأسه ، حيث قام الخوارج من أتباع مسافر بن كثير القصاب بجمع شتات أمرهم الذي كان قد تبعثر في أواخر عهد الأمويين ، واستولوا على أذربيجان ، وقتلوا عدداً كثيراً من حاميتها العسكرية ، وامتد نشاطهم وأثار دعوتهم إلي خارج نطاق أذربيجان ، ولما عجز مجاشع بن يزيد عن مجابتهم عزله المنصور وولي بدلاً منه محمد بن صول وأمدّه بجيش كبير وخوله محاربة الخوارج ، فدخل معهم في أكثر من معركة خرج منها منتصراً واضطروهم إلي الفرار إلي جبال القوقاز والتحصن بهم فحاصروهم وضيق عليهم الخناق إلي أن سلموا له فقتل منهم عدداً كبيراً وأسرعزمائهم وبعث بهم إلي أبو العباس السفاح في الأصفاد (٣) .

ولم يمض وقت طويل على خلافة أبو جعفر المنصور (١٣٦ - ١٥٨ هـ / ٧٥٤ - ٧٧٥ م) حتى بدأ الخزر يتحرشون بالحدود العباسية ، وبدأوا في مهاجمة أذربيل أذربيجان سنة ١٤٥ هـ / ٧٦٢ م ، وفي طريقهم إليها استولوا على عدد من مدن أذربيجان الرئيسية بدءاً بها

(١) البيهقي ، تاريخ البيهقي ، ج ٢ ، ص ٣٥٨ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٤٥٥ ، ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ، ج ١ ، ص ١٨٤ .

(٢) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج ٤ ، ص ٣٦٧ .

(٣) ابن أعمش الكوفي ، الفتوح ، ج ٨ ، ص ٣٧٩ - ٣٨٠ .

تاريخ الإسلام في أذربيجان ————— من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر العباسي الأول
بمدينة باب الأبواب وموقان وتفليس التي استباحوها^(١) وفشل يزيد بن أسيد في ردهم عن
هذه المدن وتراجع أمامهم إلى أربيل وتحصن بها ، وأرسل إلي المنصور يسأله الإمدادات ،
التي جاءت على وجه السرعة بل إنه أفرج عن سبعة آلاف من السجناء وأرسل إليه بهم ،
وبوصول هذه الإمدادات قوى ساعده فخرج يزيد من أربيل والتقى بالخزرجي جبال القوقاز
وأوقع بهم الهزيمة وطاردهم إلي أن أراحهم عن أذربيجان^(٢) .

وقد عزفت المصادر التاريخية عن ذكر السبب الذي حمل المنصور على الإفراج
عن سبعة آلاف من السجناء ويرسل بهم إلي الجبهة في الحرب مع الخزرج ، وهذه خطوة
غير نمطية لا سيما في حروب الخزرج . ويمكن القول أن ظروف الدولة العباسية الداخلية
قد اضطرت به إلي ذلك إذ أن المنصور في ذلك الوقت كان في طور تثبيت أركان حكمه
ويواجه عدداً من المشاكل الداخلية التي تحتاج إلي مساندة وتعاضد ، فمنها التخلص
من أبو مسلم الخراساني ، وما ترتب على ذلك من حركات تمرد وخروج بغية الثار
من قتله^(٣) وشهدت هذه السنة أيضاً ١٤٥هـ / ٧٦٢م حركة تمرد وخروج أقلق مضع
المنصور ، ألا وهي خروج محمد بن عبد الله بن حسين (النفس الزكية) وخرج بالبصرة

(١) الطبري ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٤٧٧ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج٥ ، ص ٥٧١ ، ابن كثير ، البداية
والنهاية ، ج١٠ ، ص ١٠٤ ، وللمزيد انظر :

Ameer Ali : Ashort Hisyory of the saracens, London, 1900 , P. 224 .

(٢) للبيهقي ، تاريخ البيهقي ، ج٢ ، ص ٣٧١ ، محمد عبد الفتاح عيان ، دور الفرس في قيام الدولة العباسية ،
مجلة كلية للدراسات الإنسانية ، جامعة الأزهر ، العدد الثاني ، ١٩٨٥م ، ص ١٢١ وللمزيد انظر :

M.A Shaban : Islamic History, A New interperatation , (A. D 750 – 10 55 / A . H
132 – 448) Cambridge, P. 15

(٣) عن تفاصيل دور أبي مسلم الخراساني وتفصيل مقتله وما تبعه من أحداث انظر : ابن كثير ، البداية والنهاية ،
ج١٠ ، ص ٦٩ – ٧٣ ، ٧٩ ، ٨٢ ، محمد حمزة محجوب ، أبو مسلم نامہ سرگذشت حملس ابو مسلم
خراساني ، محلة ايران شناسي ، سال دوم ، ثمره ٣ ، بانيز ١٣٦٩ هـ . ش / ١٩٩٠م ، ص ٤٨٠ – ٤٩٤ .

Ameer Ali : Ashort History of saracens, P 214 – 215 , Farouk Omar : The
Natuo of the Iranian Revoltes in the early ABBasid period, Islamic cultur,
Vol. XLV III, No.1 , January, 1974 , P. 2 – 8 .

تاريخ الإسلام في أذربيجان ————— من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر العباسي الأول
إبراهيم بن عبد الله بن حسين^(١) وقد استنفذت هذه الحركات قوي الخلافة وشغلت جل
اهتمام المنصور، وحتى لا يحدث خلل في الداخل أو الخارج، فمن الراجح أن يكون المنصور
قد قام بهذه الخطوة.

وبعد نجاح يزيد بن أسيد في حربة مع الخزر وولاه المنصور أذربيجان وعهد إليه
ضبطها وتسيير شئونها، فقام يزيد بالأمر خير قيام، وعمد إلى إسكان عدد كبير من الجنود
في شمال أذربيجان، وطلب منهم تعميرها والإقامة في هذه المناطق والعمل على
حراستها^(٢).

وقد أدرك المنصور خطورة الحرب مع الخزر وأرى في استمرارها استنزافاً لقوي
الخلافة، وأراد أن يضمهم إلى جبهته أو على الأقل تحييدهم وإبعادهم عن حدود الدولة
العباسية فأقدم على خطوة غير تقليدية وهي التفكير في الزواج السياسي، فأرسل إلى والي
أذربيجان يزيد بن أسيد يشير عليه بمصاهرة الخزر فأرسل إليه قائلاً: «أما بعد فإن البلاد لا
تستقيم ولا تصلح إلا بمصاهرة الخزر، والرأي عندي أن تصامر القوم حتى تستقيم البلاد
وإلا فإني خائف عليك وعلى جميع عمالك من الخزر. فإنهم إذا أرادوا واجتمعوا غلبوا.
فانظر ولا تخالف أمري واجتهد في مصاهرة الخزر. والسلام»^(٣).

امتثل يزيد لأمر الخليفة المنصور، وبدأ في مراسلة خاقان الخزر يطلب منه الزواج
من ابنته، ف جاء الرد بالموافقة، فأصدقها يزيد مائة ألف درهم، وزفت إليه في حلة وإجلال
عام ١٤٥هـ/٧٦٢م؛ وتعلمت شرائع الإسلام قبيل الدخول بها بعد أن أشهرت إسلامها^(٤).

(١) وللمزيد من التفاصيل انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٨٢ - ٩٤.

(٢) البيهقي، تاريخ البيهقي، ج ٢، ص ٣٧١.

(٣) ابن أعمش الكوفي، الفتوح، ج ٨، ص ٣٩٢ - ٣٩٣.

(٤) ابن أعمش الكوفي، الفتوح، ج ٨، ص ٣٩٣.

تاريخ الإسلام في أذربيجان ————— من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر العباسي الأول

أقامت ابنة خاقان الخزر واسمها خاتون مع يزيد مدة سنتين وأربعة أشهر شهدت العلاقة مع الخزر خلالها استقراراً وهدوءاً تاماً ، وجني العباسيون ثمار هذه المصاهرة حيث لم يسجل لنا التاريخ أي شائبة تشوب العلاقة مع الخزر . ولكن أنت الرياح بما لا تشتهي السفن وشاءت الأقدار أن تنتهي هذه المصاهرة بكارثة حيث ماتت خاتون سنة ١٤٧هـ / ٧٦٤م ؛ ونقل من كان معها من جواربي الخزر إلى خاقانهم خبر وفاتها فاستشاط غضباً ، وكان الأمر مديراً ، وأخذ يعد العدة للانتقام من يزيد بن أسيد والمسلمين وبدأ مهاجمة أذربيجان (١) .

تعمت جموع الخزر نحو أذربيجان من جبهتين ، فتقدم الفوج الأول من الشمال الغربي والفوج الثاني من الشمال الشرقي . وأدرك يزيد بن أسيد ضعف جيشه وأنه لا قبل له بهذه الأعداد فأرسل إلى المنصور يستمده ، فأرسل إليه عشرة آلاف جندي من العراق بقيادة حميد بن قحطبة ، وخمسة آلاف جندي بقيادة حرب الراوندي ، إضافة إلى ما اجتمع إليهما من جيش الشام والجزيرة ، علاوة على ما كان تحت إمرة يزيد بن أسيد من جيش بخلاف المتطوعين (٢) .

وفي الوقت الذي كان يتم فيه تجميع هذه الأعداد وترتيبها كان الخزر يتقدمون في شمال أذربيجان ويستبيحون المدن والقرى الواحدة تلو الأخرى ، ولم ينج من أيديهم مسلماً كان أو ذمياً ما بين أسرى وقتلى ، فاستولوا على مدينة تفليس (٣) وأشاعوا فيها الرعب والخوف ، حيث لم تستطع المدينة الصمود أمام هجمات الخزر وقوتهم ، ثم حولوا وجهتهم وبدأت جموعهم تتقدم كقطع الليل المظلم نحو مدينة شروان حيث تتركز جيوش

(١) ابن اعثم الكوفي . نفسه . ج ٨ . ص ٣٩٣ - ٣٩٥

(٢) ابن اعثم الكوفي . نفسه . ج ٨ . ص ٣٩٣ - ٣٩٥ . ابن كثير . البداية والنهاية . ج ١٠ . ص ١١٢ - ١١٣

(٣) ابن اعثم الكوفي . المصدر السابق . ج ٨ . ص ٣٩٣ - ٣٩٥ . ابن كثير . البداية والنهاية . ج ١٠ . ص ١١٢ - ١١٣

تاريخ الإسلام في أذربيجان ————— من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر العباسي الأول

الخلافة العباسية ، ودارت رحى الحرب بين الفريقين وطال أمدها لكثرة أعداد المتحاربين ورغبة كل طرف في تحقيق الانتصار وانجلىت المعركة عن هزيمة جيش الدولة العباسية ومقتل عدد كبير من عناصره ، وتعامل الخزر مع المسلمين تعامل المتوعد وحازوا على ما كان في معسكر العباسيين من غنائم وساقوا في طريق عودتهم الآلاف من الأسرى (١).

وقد ألم المنصور ما حدث للمسلمين من هزيمة في معركة شروان ، وما ترتب على ذلك من قيام الخزر ببيت الرعب والفرع في نفوس الناس ، وشمر عن ساعد الجد في قتالهم وقام في العام ١٤٨هـ / ٧٦٥ بتشكيل جيش ضخم جعل علي قيادته حميد بن قحطبة ، الذي قاد هذا الجيش وتقدم به نحو أذربيجان ، وأقام بها حيناً يستطلع أخبار الخزر الذين كانوا قد بدءوا رحلة العودة إلى بلادهم ، فلم يجد لهم حميد بن قحطبة أثر ولم يستطع بالتالي من منازلهم (٢) .

وقد دمر الخزر معظم الحصون والقلاع القريبة في أذربيجان وجعلوها أثراً بعد عين ولذا فقد كلف المنصور والي أذربيجان يزيد بن أسيد السلمي بإعادة بناء وترميم ما قد هدمه الخزر ، فقام يزيد بالأمر خير قيام حيث أنه أصلح القلاع والحصون التي دمرها الخزر وأقام عدداً كبيراً آخر من الاستحكامات الحربية وإن كان أظهر اهتماماً كبيراً بمدينة باب الأبواب والتي تعد البوابة الرئيسية لأذربيجان ودائماً ما كان يقتحمها الخزر في هجماتهم وأسكن بها عدداً كبيراً من المسلمين وأجرى عليهم الأرزاق (٣) .

(١) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٤ ، ص ٤٨٢ ، الكوفي ، الفتوح ، ج٥ ، ص ٣٩٤ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، ج٥ ، تحقيق محمد عبد القادر عطا - مصطفى عبد القادر عطا ، مراجعة نعيم زرزور ، ط بيروت ، ١٩٩٢م / ١٤١٢هـ ، ص ١٠٨ .
(٢) الطبري ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٤٩٣ ؛ ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج٥ ، ص ١١٠ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٠ ، ص ١١٣ .
(٣) ابن أعمش الكوفي ، المصدر السابق ، ج٥ ، ص ٣٩٥ .

تاريخ الإسلام في أذربيجان ————— من الفتح الإسلامي إلى نهايه العصر العباسي الأول

وبالرغم من أن المصادر لم تذكر لنا سبباً يعتد به في قيام خاقان الخزر بهذا الانتقام الكبير، حيث أن ابنته ومن المؤكد أنها قد ماتت ميتة طبيعية ولا توجد فيها شبهة لأن هدف المنصور وقائده من هذه الزيجة السياسية مع الخزر هو حقن دماء المسلمين ووقف استنزاف قوي الخلافة، وعليه فهم يدركون جيداً أن محاولة قتل ابنة خاقان الخزر أو حتى الإساءة إليها يدمر طموحات المنصور في مهادنة الخزر ومحاولة بناء علاقة جيدة معهم ويمكن القول أن خاقان الخزر قد رأى في زواج ابنته من أحد قادة خليفة المسلمين وليس الخليفة نفسه أو حتى أحد أقاربه تقليلاً وحطاً من شأن وقدر وقدره الخزر الذين لهم صولات وجولات في الحرب مع الدولة العباسية، كما أن العلاقة مع الخزر لم تكن يوماً من الأيام طيبة مع الدولة الإسلامية، ولم تكن هناك قواسم مشتركة بين الدولتين يمكن الاعتماد عليها وليس هناك أسس قوية بين الدولتين يمكن بناء عليها علاقة سلم جيدة ويجب أن لا ننسى الدور الذي يمكن أن تقوم به بيزنطة في إفشال أي علاقة طيبة بين الخزر والدولة العباسية وهي المتضرر الأول من هذه المصاهرة السياسية، وهي التي ترتبط مع الخزر بعلاقة مصاهرة سياسية، وفي مصحتها بقاء العلاقة متوترة بين الخزر والدولة العباسية. ولم تكن بعيدة عما يعصف بالدولة العباسية من أحداث ولعل أهمها حركات الزنادقة (١) في عهد الخليفة المنصور، بل إنها التاقلت بنيرانها، فبعد نجاح المنصور في التخلص من أبو مسلم الخراساني قامت عدة حركات معارضة، هدفها المعلن هو الأخذ

(١) تردت كثيراً لفظة الزندقة خلال العصر العباسي، لانتشال كثير من الخلفاء بالقضاء على حركات الزنادقة وقد شاع هذا اللفظ منذ أواخر الدولة الأموية ولكن على نطاق ضيق لا تهلم عبد الصمد بن عبد الأظى والجمد من درهم بلالزندقة، وللمزيد عن الزندقة والزنادقة انظر: السعودي، مروج الذهب، ج١، ص ٢١٧ عبد الله السامرائي، العلو والدرق المغالية، ص ٧٩ - ٨٠، تورج تابان، زنداغة در سده هاي نخستين اسلامي، مجلة إيران نامه، سال پنجم، شماره ٣، بهار ١٣٦٦ هـ/ش/ ١٩٨٧ م، ص ٤٥٥ - ٤٦٩

تاريخ الإسلام في أذربيجان ————— من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر العباسي الأول

بثار أبو مسلم الخراساني ، وهدفها الخفي هو مناهضة الإسلام^(١) مثل حركة سنباد المجوسي^(٢) أحد قادة أبو مسلم الذي آله مقتل زعيمه ، فقام ينادي بالثأر لأبو مسلم والانتقام ليس من أبو جعفر المنصور فقط بل من جميع العرب ، فأدرك المنصور خطورة هذه الحركة الهدامة ، فبعث إليه بجيش يتألف من عشرة آلاف مقاتل بقيادة جهور بن مرار العجلي فالتقى به في المنطقة بين همدان والري . واستطاع جهور من هزيمة سنباد وأتباعه وقتل أعداداً كبيرة منهم كان من بينهم سنباد نفسه^(٣).

وبعد مقتل سنباد استولي جهور بن مرار على الأموال الطائلة التي كانت بحوزته والتي آلت إلى سنباد بعد مقتل أبو مسلم الخراساني ولم يرسل بها إلى المنصور وطمع فيها واستأثر بها لنفسه ، وسولت له نفسه الخروج على طاعة الدولة العباسية . وأخذ يستولي على المدن والقرى ويستكثر من الجنود والأموال مستمداً قوته مما في يده من خزائن وأموال وما يضمه عسكرة من أعاجم وبعض العرب الحانقين على الدولة العباسية ، فأرسل إليه الخليفة المنصور بقائده محمد بن الأشعث الخزاعي في جيش عظيم ، فالتقى جهور بن مرار ويعد قتال شديد بينهما هزم مرار وفر بشرذمة قليلة من أتباعه إلى أربيل واستولي عليها وأشاع فيها الفرع والرعب ، وأخذ ينكل بالسكان ، إلى أن استطاع جيش الدولة العباسية الذي تعقبه من إخراجهم منها وتفريقهم في مناطق جبال القوقاز^(٤).

(١) والمعزود من التفاصيل عن هذه الحركات ودورها في الدولة العباسية انظر : أحمد الحنطاري ، حركات ومزمرات مناهضة في تاريخ الإسلام ، ص ٣٥٥ - ٣٥٧ ، عبد الله رازي ، تاريخ كامل إيران ، از تاسيس ماد تا عصر حاضر ، ١٣٤٧ هـ ، ص ١١٤٤ مقبول بخشتي ، تاريخ إيران ، جلد دوم ، لاهور ، ١٩٦٧ م ، ص ٨٠ - ٨١ .
Arnold Hottinger : The Arab, los Angeles, 1936 , P. 86 .

(٢) سنباد للمجوسي : من قرى نيسابور استولي على موال وخزائن أبو مسلم وأعلن الثورة وتبعه في دعواه الآلاف الذين بشرهم بنهاية سلطان العرب وأنه سيزحف لهم الكعبة وسائر الأماكن المقدسة . والمعزود انظر : الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٤ ، ص ١٣٠٩ ، عبد الله رازي ، المرجع السابق ، ص ١٤٤ .

Gustave . E. von Grunebeaum : Medieval Islam, Chicago, P. 205 .

(٣) الطبري ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص ١٣٩٠ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٠ ، ص ٧٩ - ٨٠ .

(٤) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٤ ، ص ١٣٩٠ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٠ ، ص ٨٠ .

تاريخ الإسلام في أذربيجان ————— من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر العباسي الأول

ومن أبرز ملامح الأحداث السياسية لأذربيجان في عهد الخليفة العباسي المهدي (١٥٨ - ١٦٩ هـ / ٧٧٥ - ٧٨٥ م) خروج أحد فرق المزدكية^(١) وهي المحمرة^(٢) والتي بدأت دعوتها من جرجان^(٣) غير أن أصداء دعوتها ونشاط دعائها وصلت أذربيجان ولاقت ترحيباً من سكانها وبدأوا يستجيبون لأفكارهم الخارجية ، حيث دعت هذه الحركة إلى تطبيق الحقل الاجتماعي لشيوعية مزدك ، ودعوا إلى تناول الملذات والانعكاف على بلوغ الشهوات والملذات من الطعام والشراب ، والاختلاط وترك الاستبداد والاستئثار بشيء دون الآخرين ، والمشاركة في الأهل والحرم . بحيث لا يمتنع الرجل من حرمة الأخر ولا يمنعه . وانتشرت هذه الأفكار انتشار النار في الهشيم ، ووجدت قبولاً كبيراً في أذربيجان وشكلت خطراً على الدولة العباسية . لذا فقد سارع الخليفة المهدي بسرعة إرسال عمر بن العلاء على رأس جيش كبير لاجتثاث هذه الحركة ، فاستطاع عمر بن العلاء من قتل زعيمها عبد القهار ومطاردة فلول أتباعه والتنكيل بهم إلى أن قضي عليهم جميعاً سنة ١٦٢ هـ / ٧٧٨ م^(٥).

ونلاحظ أن هناك تناقضاً في موقف سكان أذربيجان تجاه حركة وتمرد جهورين مرار وحركة المحمرة ففي الأولى انصرف الناس عنه ولم يمدوا له يد العون بل إنهم أخذوا

(١) المزدكية : نسبة إلى مزدك الذي ظهر في القرن الخامس للميلادي ، وهو فارسي من نيسابور ودعا إلى مذهب شأني جديد يقوم على النور والظلمة ، ودعا إلى نوع من الشيوعية والإلحادية والفوضى الأخلاقية . وللمزيد انظر : المسعودي ، مروج الذهب ، ج١ ، ص ٢٨٨ ؛ عبد الوهاب طوب ، الرواية التاريخية الفارسية ، مجلة خنية الأدب ، جامعة للقاهرة ، مجلد ٥٦ ، العدد ٣ ، أبريل ١٩٩٦ ، ص ١٧٤ ؛ صفاة الله تميم ، رويداد باي مهم تاريخ جهان ، جلد دوم ، تهران ، ١٣٥٠ ، ص ٢٠٢ - ٢٣٢ ؛ علي اصغر حكمت ، تاريخ أديان ، تهران ، ١٣٤٥ ، ص ١٧١ - ١٧٤ ؛ إحسان شاطر ، كيش مزدكي ، إيران نامه ، سال دوم ، شماره ، باتيز ١٣٦٢ / ١٩٨٣ م ، ص ١٠ - ٣٦ .

(٢) وللمزيد عن نشأة المحمرة وأفكارها انظر : ابن النديم ، النهروست ، ص ٤٧٩ - ٤٨٠ ؛ أحمد الحفناوي ، حركات ومزمرات ومناهضة في تاريخ الإسلام ، ص ٤٣٦ - ٤٣٧ .

(٣) جرجان مدينة عظيمة مشهورة بين طهرستان وخراسان. انظر : الحموي ، معجم البلدان ، مج١ ، ص ٤٢ - ٤٥ .

(٤) ابن الأثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ٥٨ ؛ الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج١ ، ص ٢٥٤ .

تاريخ الإسلام في أنريجان ————— من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر العباسي الأول

منه موقناً معارضاً مما جعله يقوم بقتل عدد كبير منهم ، ويمكن تفسير ذلك بأن الناس قد شعروا بأنهم لم يجنوا من تأييده شيئاً ، كما أنه جاء إليهم فاراً مهزوماً وليس معه من الجنود الكثير ، ويجب أن لا ننسى أن أنريجان فارسية الأصل وترقب بفرس والمجوس بوشيجة وصلة رحم ، وهي كغيرها من سائر خراسان كان فيهم تعاطفاً مع أبو مسلم الخراساني وآلهم مقتله ورأوا في جهور بن مرار شخصاً غير مرغوب فيه وناصبوه العداً لأنه قتل قائد وتلميذ أبو مسلم الخراساني سنباز المجوسي والذي يعد فعله في معارضة العباسيين ومحاولة الانتقام من مقتل أبو مسلم تعبيراً عما يجيش في صدور معظم الفرس ، في حين أنهم أيدوا أفكار المحمرة ولاقت منهم ترحيباً كبيراً ومرجع ذلك على الأرجح هو أن أفكارها الإباحية والفوضوية لاقت هوي في نفوس كثير من الغوغائيين الحانقين على الإسلام ، والانعكاف على المذات هو في العادة غاية الكثير من العبيد والغوغائيين من العصاة والمفسدين ، ورأوا في هذه المبادئ تنقيحاً عما داخل نفوسهم الضعيفة من نوازغ الشر التي كبتها الشريعة الإسلامية .

وقد اشتهر عهد هارون الرشيد (١٧٠ - ١٩٢ هـ / ٧٨٦ - ٨٠٨ م) بحالات تمرد وخروج على سيطرة الحكومة المركزية ، وتميزت هذه الحركات بشدة البأس والقوة وأشهرها وأعظمها أثراً تلك التي خرج فيها الوليد بن طريف الشيباني^(١) الذي عاث في منطقة الجزيرة فساداً ونهباً ما وقع تحت يده وأخذ يجمع الأتباع والموالي حتى إذا اشتد ساعده وكثر أتباعه بدأ يستولي على المدن الأرمينية الواحدة تلو الأخرى^(٢) فأرسل إليه

(١) الوليد بن طريف : أحد امراء العرب ، خرج بالجزيرة في ثلاثين نفساً وقتلوا تاجراً نصرانياً وأخذوا ماله ثم عثوا في الجزيرة فساداً ، وظل غصه في خلق الخلافة إلى أن تم قتله ، انظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج٦ ، تحقيق إحسان عباس ، ط بيروت ، (د ت) ، ص ٣١ - ٣٢ ، الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج٨ ، تحقيق شعيب الأرنؤوط / نذير حمدان ، ط بيروت ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ، ص ٢٣١ - ٢٣٢ .

(٢) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٤ ، ص ٦٤١ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ١٤١ - ١٤٣ ، د/ أحمد رمضان ، حضرة الدولة العباسية ، ط القاهرة ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ ، ص ٢٧ .

تاريخ الإسلام في أذربيجان ————— من الفتح الإسلامي إلى بهايه العصر العباسي الأول

الرشيد بقائده إبراهيم بن خازم على جيش ضخم ، ففشل هذا الجيش في هزيمة الوليد ورد على عقبه وقتل قائده إبراهيم ، وحاز الوليد على ما كان في جيش الخلافة ، وقوي ساعده وذاع صيته وكثر أتباعه فاتجه إلى أذربيجان واستولي علي عاصمتها أربيل (١) .

واستيلاء الوليد على أربيل يعد نذير شر للخلافة العباسية لأهميتها كمدينة محورية في آسيا الوسطى لا سيما بعد نجاح الوليد في رد أكثر من جيش للخلافة وتزايد أتباعه يوماً بعد يوم ، لذا فقد سارع هارون الرشيد بتعيين قائداً ذو مواصفات خاصة تتناسب مع طبيعة التمرد ، فرأى الرشيد أن يوجه إلى الوليد بن طريف من هو من قبيلته وفصيلته ربيعة أملاً في أن ينفذ أتباعه من حوله ، فوجه إليه يزيد بن مزيد الشيباني (٢)

على رأس جيش ضخم يعكس مدى اهتمام الرشيد بهذه الحركة ، ولكن على ما يبدو أن السحر قد انقلب على الساحر ولم تجدي حيلة الرشيد ، وطال أمد الحرب ولم ينفذ أحد عن الوليد ، ولم يدخل يزيد في حرب مباشرة مع الوليد وظل يماكره حتى أرسل إليه الرشيد يأمره بالدخول معه في حرب مباشرة (٣) فامتثل يزيد الأمر والتحم بجيشه مع الوليد في معركة فاصلة تمكن خلالها من هزيمة أتباع الوليد وقتله وبعث برأسه إلى الرشيد سنة ١٧٩ هـ / ٧٩٥ م (٤) ومن حركات التمرد التي شهدتها الدولة العباسية وتركت أثرها السلبي

(١) لين الجوزي ، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، ج ٩ ، ص ٣٦ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٤١ - ١٤٣ ، د/ أحمد رمضان ، المرجع السابق ، ص ٢٧ .

(٢) يزيد بن مزيد الشيباني : أحد القادة العباسيين المشهورين ، تولى للرشيد عدد من الولايات وتوفي ببرذعة سنة ١٨٥ هـ / ٨١٠ م ، انظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٦ ، ص ٣٢٧ ، البقمي ، مرآة الجنان وحصرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوائث الزمان ، ج ١ ، ط ٢ القاهرة ، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م ، ص ٤٠٠ ، الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ٩ ، ص ٧١ - ٧٢ .

(٣) لما طال أمد الحرب بين يزيد والوليد أرسل الرشيد إلى يزيد يوبخه ويقول له : " لو وجهت أحد من الخدم لقام بأكثر مما تقوم به ولكنت مدهن ومتعصب ، وأمير المؤمنين يقسم بالله لمن أخرجت مناجزة الوليد ليعتق إليك من يحمل رأسك إلى أمير المؤمنين " انظر ابن الأثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٤١ - ١٤٣ .

(٤) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج ٤ ، ص ٦٤١ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٠ ، ص ١٨٧ ، الضنيلي ، شفرات الذهب ، ج ١ ، ص ٢٨٨ - ٢٨٩ .

تاريخ الإسلام في أذربيجان ◊ ————— ◊ من الفتح الإسلامي إلى نهابه العصر العباسي الأول

على أذربيجان ذلك التمرد الذي قام به الفضل الراداني سنة ١٧٥ هـ / ٧٩١ م ، وامتد نشاطه وسيطرته على المنطقة الممتدة من مدينة باب الأبواب شرقاً إلى مدينة خلاط غرباً وقويت شوكته ، وصار يهدد أذربيجان ويحاول السيطرة عليها ، وفي كل مرة كانت الحامية العسكرية تربه على عقبه ، وسارت المدينة قاب قوسين أو أدنى أن تخضع لسيطرتهم ؛ إلى أن استطاع المعمر بن عيسى من القضاء عليهم سنة ١٧٦ هـ / ٧٩١ م ، وقتل قائدهم الفضل الراداني واجتثا هذا التمرد في الموصل (٤).

ومن بذور التمرد التي نبتت في أذربيجان ، حركة أبو مسلم الشاري الذي خرج بأذربيجان وأرمينية سنة ١٨٠ هـ / ٧٩٦ م ، حيث نجح في الاستيلاء على مناطق شاسعة من أرمينية وأذربيجان واستولي على الخزائن والأموال العباسية وأخذ يستكثر من الأتباع والموالي وغدا تمره عصة في حلق الخلافة العباسية واشتد ساعده وقويت شوكته وتبعه في تمره الكثير ، لا سيما بعد ما تكسرت على يديه جيوش للخلافة ، فهزم جيشاً قادة خالد بن يزيد بن أسيد السلمي ورد أخريقوه العباس بن جرير بن يزيد بن عبد الله البجلي وأخريقوه معدان الحمصي ويعد هذه النجاحات استطاع أبو مسلم الشاري أن يسيطر على مناطق جديدة في شمال جبال القوقاز ، وبدأ يتوجه نحو الجنوب في اتجاه الجزيرة والموصل ، وأقلق هذا الزحف الخليفة هارون الرشيد لا سيما بعد ما بدأ بقيم التحصينات في أردبيل ومدن القوقاز ، فأرسل إليه الرشيد جيشين دفعة واحدة الأولى يقوده يحي الحارشي ، وينطلق عبر أرمينية ، والأخرى يقوده يزيد بن مزيد الشيباني وينطلق عبر أذربيجان ، بحيث يتقابل الجيشان عند مدينة البيلقان حيث تراجع أبو مسلم بجيشه

(١) الأزدي ، تاريخ الموصل ، ج ٢ ، ص ٢٧٥ ، ابن الأثير . الكامل ، ج ٦ ، ص ١٣٣ .

تاريخ الإسلام في أذربيجان ————— من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر العباسي الأول
وتحصن بها^(١) وقبيل بدء المعركة لقي أبو مسلم حتفه فقام بأمر الشراة من بعده السكن
بن موسى البيلقاني ، الذي انسحب بجيشه إلى أربيل وتحصن بها وانتقلت إليه جيوش
الخلافة العباسية وضربت الحصار على أربيل وضيق الخناق على من بها ولما لم يجد
السكن وأتباعه تأييداً من سكان أذربيجان ورأوا انصرافهم عنهم ومناصبتهم العداة بدأ
في المهادنة وطلب إجراء الصلح وأرسل إلى يزيد بن مزيد يطلب الأمان والتسليم ، فأمنه
وحمله إلى هارون الرشيد^(٢) .

ويعود الخزر من جديد إلى واجهة الأحداث حينما جاول حاكم أذربيجان وواليتها
الفضل بن يحيى البرمكي سنة ١٨٢هـ / ٧٩٨م إجراء مصاهرة سياسية مع الخزر مرة ثانية
حيث أرسل إلى خاقانهم يطلب منه الزواج من ابنته ، وقد وافق الخاقان على إتمام هذه
الزيجة سنة ١٨٢هـ / ٧٩٨م^(٣) ولكن لم تشا الأقدار - وللمرة الثانية - نجاح هذه المصاهرة
السياسية إذ ماتت ابنة خاقان الخزر في نفس عام الزواج ، فرجع من كان معها
من الجواربي والعبيد إلى أبيها وأخبروه أنها قد قتلت غيلة ، وبدأ الخزر كالعادة في
الاستعداد لمهاجمة أذربيجان^(٤) .

وفي العام التالي بدأ الخزريتقدمون صوب أذربيجان وقبل انقضاء العام
١٨٣هـ / ٧٩٩م كان الخزر قد استولوا على أربيل في سرعة خاطفة ولم تستطع الحاميات
العسكرية من صدهم ، وأخذ الخزر ينتقمون من سكان المدينة ولم يسلم من أيديهم أهل

(١) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ، ص ٤٢٦ - ٤٢٨ الكزلي ، للفتوح ، ج ٨ ، ص ٤٠٩ .
(٢) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ، ص ٤٢٦ - ٤٢٨ ، الكزلي ، المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٤٠٩ - ٤١٠ .
(٣) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج ٤ ، ص ٦٤٦ ، ابن الأثير الكامل ، ج ٦ ، ص ١٦١ ابن العسري ، تاريخ
مختصر الدول ، دون بيانات نشر ، ص ١٢٩ .
(٤) الطبري ، المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٦٤٦ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٦١ .

تاريخ الإسلام في أذربيجان ————— من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر العباسي الأول
الذمة ، وامتدت أيديهم بالخراب والدمار إلى كل شيء من معالم المدينة ، وأتوا على الأخضر
واليابس (١).

وكان على الرشيد أن يقدر الموقف تقديراً صحيحاً حتى لا يحدث كما وقع في عهد
المنصور حينما تقدمت جموع الخزر حتى وصلت إلى الموصل جنوباً ، فاختار الرشيد أكفا
قواده العسكريين ، فعين يزيد بن مزيد الشيباني ويعاونه خزيمه بن خازم (٢) وجعلهما
على جيش ضخم وأوكل إليهما التوجه إلى أذربيجان ومقارعة الخزر ، الذين كانوا قد أخذوا
أسكنهم في أردبيل وتحصنوا بها ! فلما اقترب يزيد بالجيش من أردبيل نخرج الخزر
للاقتام ، ودارت بين الفريقين عدة من المعارك ، وكانت المحصلة النهائية هزيمة الخزر
وفرارهم إلى بلادهم (٣).

وبالرغم من أن المصادر ذكرت أن من كان بصحبة ابنة خاقان الخزر قد ذكروا له
أنها قد قتلت غيلة ولكن هذا الأمر مستبعد لأن قادة المسلمين يعرفون رذات فعل الخزر
وانتقامهم ولهم معهم تجربة سابقة منذ عهد المنصور ، ومن المعلوم أن الهدف من مثل هذه
المصاهرات السياسية هو توليد العلاقات وتوثيقها ، وعقد اتفاق سلام غير مكتوب ينص
على هدنة طويلة فيما بين الجانبين ، ووقف استنزاف القوى بينهما ، والمسلمون يهدفون
من وراء هذه الزيجة إلى درء خطر الخزر وتحييدهم .

(١) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٤ ، ص ٦٤٧ ، ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، ج٩ ، ص
٨٣ ، السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، تحقيق طه عبد الرؤوف ، ياصر صلاح عزب ، ط القاهرة ، (د ت) ، ص ٢٥٣ .
(٢) خزيمه بن خازم : من أكابر القواد في عصر الرشيد والأمين والمأمون ، وكان لديهم ذو مكانة كبيرة ، وشهد لهم
وقائع كثيرة ، ومال إلى المأمون خلال خلافة مع الأمين ، انظر : ابن قتيبة ، المعارف ، ص ٤١٧ ، ابن الجوزي ،
المصدر السابق ، ج٩ ، ص ١١٨ ، للزركلي ، الأعلام ، ج٢ ، ط بيروت ، (د ت) ، ص ٣٠٥ .
(٣) الطبري ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٦٤٧ ، ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج٩ ، ص ٥٨٣ ، ابن الأثير ،
الكامل ، ج٦ ، ص ١٦٣ ، الذهبى ، العبر في خبر من خبر ، ج١ ، تحقيق محمد السعيد بن بسوي ، ط بيروت ،
(د ت) ، ص ٢٢٠ .

دارج الإسلام في أذربيجان ————— من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر العباسي الأول

وبعد إخراج الخزر من أذربيجان فكان على خزيمة بن خازم ويزيد بن مزيد إعادة بناء ما قد تهدم بفعل الخزر، فأعادوا بناء أسوار مدينتي باب الأبواب وأردبيل وإقامة حصونهما ولبثا في أذربيجان فترة طويلة للإشراف على إعادة إعمارها (١).

حركة بابك الخرمي ودور أذربيجان في مواجهتها :-

تتاز البلاد الفارسية ومنها أذربيجان بكثرة المذاهب والمعتقدات الدينية سواء في ذلك ما كان قبل البعثة النبوية لمحمد صلي الله عليه وسلم أو بعدها، ومن هذه الطوائف فرقة الخرمية (٢) والتي تنسب إلي بابك الخرمي (٣).

وهذه الحركة شردمت منطقة جبال القوقاز، وأقلقت مضجع الخلافة العباسية وبرز دور أذربيجان في التصدي لهذه الحركة، حيث ناءت بعبء التصدي لبابك من خلال تحولها إلي مركز القوى للخلافة العباسية بتجميع وانطلاق القوات العسكرية، ولمركزها المتوسط، فبدأ الخرمية نشاطهم منذ العام ١٩٢ هـ / ٨٠٧ حيث كان أول ظهور لبابك الخرمي في حصن البذ (٤) وأخذ يستولي على المدن القريبة من هذا الحصن ويعيث فيها فساداً، وأخذ يتجه جنوباً نحو مدن أذربيجان، فخرج إليه قائد الحامية العسكرية عبد

(١) الطبري، المصدر السابق، ج١، ص ٦٤٧، الأزدي، تاريخ الموصل، ج٢، ص ٢٩٤، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٠، ص ١٩٧.

(٢) الخرمية: هي امتداد للخرمية الأولى والذين كانوا يسمون بالمحمرة، وزعيمهم هو مزدك، الذي أمرهم بتناول الملذات والاعتكاف على بلوغ الشهوات، والدعوى إلي الإلحادية، وللمزيد عن تفصيل الخرمية انظر: الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٤٠٢، الكرديزي، زين الأخبار، تحقيق عبد الحي حبيبي، ١٣٤٧ هـ ش، ص ٧٦، أحمد الحفناوي، حركات ومؤامرات مناهضة في تاريخ الإسلام، ص ٤٥٨، صين على ممتحن، رزقاي تمدن وفرهنگ ايران، انتشارات دانشگاه ملي ايران، ص ١٤٨ - ١٤٩، نيكيتا لولوشيف، الشرق الإسلامي في العصر الوسيط، ترجمة منصور أبو الحسن، طيبيروت، ص ٢٣٣ - ٢٣٤.

(٣) بابك الخرمي، نشأ بقرية من قرى أردبيل واتصل بجلويدان بن سهرك ملك جبال البذ وزعيم الخرمية بها، وخلفه بعد وفاته على زعامة الخرمية، انظر: ابن النديم، النهروست، ص ٤٨٠ - ٤٨١، أحمد الحفناوي، المرجع السابق، ص ٤٥٩، بلول هرن، تاريخ مختصر ايران، ترجمة رضا زاده شفق، طهران، ١٣١٤ هـ ش، ص ٢١ - ٢٥.

(٤) البذ: إحدى قرى أرمبيل الجبلية بين لأذربيجان ولوران، وهي شديدة التحصن، وهي غنية بالمحاصيل الزراعية والفواكة والعيون الكبرى، انظر: معجم البلدان، مج ١، ص ٢٨٦، البكري، معجم استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج ١، ص ٢٢٥.

تاريخ الإسلام في أذربيجان ————— من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر العباسي الأول

الله بن مالك في عشرة آلاف مقاتل ودخل معه في أول قتال مع الخرمية وأوقع بهم الهزيمة وأجبرهم على الفرار إلى مناطق الجبال والتحصن بها بعد أن أسر منهم أعداداً كبيرة ولكنهم سرعان ما أعادوا تجميع صفوفهم وضموا إليهم أعداداً كبيرة من المزارعين ، وسيطروا على المناطق الجبلية في أذربيجان ، فتقدم إليهم خزمية بن خازم ولكنهم اتبعوا سياسة حرب العصابات ولم يستطع خزمية من منازلهم مما اضطره إلى العودة إلى أربيل (١) .

ومنذ عام ٢٠١ هـ / ٨١٦ م ، بدأ الخرمية يشنون الهجمات المنتظمة بصورة شبه سنوية على أذربيجان ومحاولة الاستيلاء عليها ، لا سيما بعد أن ضاقت عليهم قرية البذ التي يتحصنون بها لكثرة أتباع الخرمية بعد انضمام أفواج كثيرة من المزارعين والغوثانيين إلى صفوفهم (٢) .

وفي عام ٢٠٤ هـ / ٨١٩ م ، تزايدت هجمات الخرمية على أربيل وضيقوا عليها الخناق فانبري لهم قائد المأمون يحي بن معاذ على جيش ضخم جل أفراده من الجزيرة فاشتبك مع بابك الخرمي في معركة غير واضحة المعالم ولا النتائج ، ونال كل فريق من الآخر ، وظل الوضع على هذا الحال إلى حلول الشتاء فمال كل فريق إلى فئته دون حدوث نصر لأي منهما على الآخر (٣) .

وبعد انتهاء الشتاء عادت قوات الدولة العباسية مرة ثانية لقتال بابك الخرمي سنة ٢٠٥ هـ / ٨٢٠ م ، والقائد هذه المرة عيسى بن محمد بن أبي خالد حيث ولاه المأمون

(١) للطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج ٥ ، ص ١٢ ، ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، ج ٩ ، ص ١٩٧ ، ابن الأثير ، الكمل ، ج ٦ ، ص ٢٠٨ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٠ ، ص ٢٢٣ ، الذهبي ، دول الإسلام ، ص ١٠٧ .

(٢) للطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج ٥ ، ص ١٣٩ ، ابن الأثير ، الكمل ، ج ٦ ، ص ٢٢٨ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٠ ، ص ٢٧٠ ، سعيد نفيسي ، بابك خرم دين ، ص ١٤٥ ن . وبيكولوسكايا وآخرون ، تاريخ إيران ، ترجمة كريم كشاورز ، تهران ، ١٣٥٤ هـ ش ، ص ١٨٩ .

(٣) الطبري ، المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ١٥١ ، الأزدي ، تاريخ الموصل ، ج ٢ ، ص ٢٥٣ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٠ ، ص ٢٧٣ ، سعيد نفيسي ، المرجع السابق ، ص ٤٧ .

ناريخ الإسلام في أذربيجان ————— هـ من الفتح الإسلامي إلى نهايه العصر العباسي الأول

أذربيجان ومحاربة بابك الخرمي ، ولكن لم يستطع مجاراتهم ولم يستطع فعل شيء معهم^(١) . بل إن بابك أوقع به الهزيمة تلو الأخرى حتى جعله يعود أدراجه بجيشه إلى أربيل والتحصن بها^(٢) .

وغدت الأمور تنتقل من سئ إلى أسوأ في أذربيجان فبينما كانت أذربيجان تعاني الأمرين من جراء محاولات الخرمية المتكررة الاستيلاء عليها ، إذ ازداد الوضع تعقيداً بحدوث فتنة جديدة داخلها بتمرد زريق بن صدقة الأزدي ، فبعد فشل عيسى بن محمد في مواجهة الخرمية ومحاربة بابك الخرمي . ذهب إلى الخليفة وطلب منه أن يسند إليه ولاية أذربيجان ومحاربة الخرمية فاستجاب له المأمون وأعطاه ما أراد ، وفي الطريق إلى أذربيجان أخذ يستنهض قومه وأهل قرابته لمؤازرته . فوافاه خلق كثير من غير قرابته أيضاً ، وأصبح جيشه يربوا على الخمسين ألفاً ، ولما وصل أذربيجان دهمه الشتاء فانتقل إلى أرمينية لقضاء الشتاء بها ، وبعد انقشاع الشتاء عاد إلى أذربيجان للاستعداد لمواجهة الخرمية غير أنهم لم يمهلوه وأخوه على حين غرة وأوقعوا به الهزيمة وأسروا عدداً كبيراً من مساعديه وقتلوا عدداً كبيراً من جيشه بينما لاذ هو بالفرار مع فئة قليلة من جيشه إلى أربيل حيث تحصنوا بها^(٣) .

ولم يكن صدقاً هو المأمول من زريق ولجئاً فقد غضب منه المأمون ولا سيما وأن انتقاله إلى أرمينية ثم العودة منها جاء بدون إذن ولا علم منه . فقام المأمون بعزله عن أذربيجان وحرب الخرمية ، غير أن زريق لم يمتثل للأمر وظن أن فيه إجحاف ، وسولت

(١) الطبري ، المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ١٥٣ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٠ ، ص ٢٧٧ .

(٢) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ٣٧٩ ، الذهبي ، البحر ، ج ١٠ ، ص ٢٧٣ .

(٣) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج ١ ، ص ١٦٦ ، ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ١٠ ، ص ١٩٨ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ٣٩٠ .

تاريخ الإسلام في أذربيجان ————— من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر العباسي الأول
له نفسه العصيان وشق عصا الطاعة ، فاستأثر لنفسه على ما كان بيده وأخذ يهاجم المدن
والقرى والحصون المحيطة بأردبيل ويخضعها لحكمه عنوه (١) .

فولي المأمون السيد بن أنس الأزدي حرب زريق ، غير أن زريق اصبح قوة
لا يستهان بها حيث سوي ساعده واشتدت قوته لا سيما بعد الاستيلاء على عدد
من الحصون والقلاع المحيطة بأردبيل ، فاستطاع زريق من هزيمة السيد بن أنس ورده
على عقبه وقتل عدد كبير من جيشه (٢) .

وأخذ زريق يوسع دائرة نفوذه وسيطرته وناع صيته وعلا نجمه لا سيما بعد نجاحه
في هزيمة جيش الخلافة ، وعانت أذربيجان الأمرين وأصبحت بين مطرقة الخرمية وسندان
تمرد زريق ، الذي بدأ يتجه جنوباً ويستولي على المدينة تلو الأخرى حتى واجهته جيوش
الخلافة العباسية بقيادة محمد بن حميد الطوسي ، والتقت به عند نهر الزاب (٣) وجرت
بينهما معركة كبيرة بين كروفر اتهمت بهزيمة زريق وأتباعه ، فأرسل إلي محمد بن حميد
يطلب منه الأمان (٤) فأمنه وأرسل به إلى الخليفة المأمون سنة ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م (٥) .

وكمكافأة لنجاحه في القضاء على تمرد زريق ، واعترافاً بقدراته العسكرية ، قلد
المأمون محمد بن حميد ولاية أذربيجان وحرب بابك الخرمي ، حيث بدأ محمد في تقوية
جبهة أذربيجان الداخلية وأخذ يعين الجيش ويستعد بالمؤن والميرة وأرسل إلي قبائل
أذربيجان لا سيما العربية منها ، يستنهضها ويطلب منها إمداده بالمقاتلين ، ولما أكمل
تعبئة جيشه بدأ في الانطلاق نحو بابك الخرمي ، فكان كلما مر على حصن أو مدينة قام

(١) الأزدي - تلخيص للموصل ، ج٢ ، ص ٣٥٨ .

(٢) الأزدي ، نفس المصدر ، ج٢ ، ص ٣٥٩ .

(٣) انظر الخريطة الملحقه بالبحث .

(٤) الأزدي ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٣٧٨ - ٣٧٩ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ٤٠٧ .

(٥) الطبري ، المصدر السابق ، ج٥ ، ص ١٧٨ ، ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج١٠ ، ص ٢٤٨ ، ابن كثير ،

البيدابة والنهية ، ج١٠ ، ص ٢٩٠ .

ناريخ الإسلام في أذربيجان ————— من المنتح الإسلامي إلي نهابه العصر العباسي الأول

بإعادة تحصينها ، وترك فيها حاميات عسكرية لحراستها خوفاً من هجمات
الخرمية (١) .

وغير بعيد عن ذلك كانت عيون بابك وجواسيسه تراقب ما يحدث وتنقله إليه
أولاً بأول ، وأخذ بابك يعد الكمائن في مناطق الجبال ، فما أن تقدم محمد بن حميد بجيشه
ويدأ في الولوح في مناطق أذربيجان الجبلية إلا وأخذته الخرمية على حين غرة وانقضت
عليه وأوقعت في جيشه القتل والتشريد وتفرق دم جيش الخلافة بين الخرمية ، وذهبت
محاولات محمد بن حميد في إرجاع الفارين من جيشه أدراج الرياح وخرصريعاً
سنة ٢١٤هـ / ٨٢٩م (٢) .

وأصبحت الخرمية ونجاحاتها المتوالية في هزيمة جيوش الخلافة تُفرق مضجع
الخليفة المأمون ولم يجد لها خيراً من ساعده الأيمن عبد الله بن طاهر ، فولاه أذربيجان
وحرب الخرمية فقبلها عبد الله بن طاهر كارها (٣) وانتقل من خراسان في طريقه
إلي أذربيجان ، وعلى مشارف أذربيجان الشمالية أخذ يجمع الجنود ويعد العدة لمحاربة
بابك الخرمي (٤) ولكن أحداث خراسان قد اقتضت عودته ، فأرسل إليه المأمون يخيره
بين ولاية خراسان ، ونيابة أذربيجان وأرمينية وحرب بابك الخرمي ، فاختر خراسان
وعاد إليها مرة ثانية (٥) .

(١) الأزدي ، تاريخ الموصل ، ج٢ ، ص ٢٨٦ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ٤١٢ .

(٢) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٥ ، ص ١٨٠ ، ابن الجوزي ، المنتظم ، ج١٠ ، ص ٢٦٤ ، الحنبلي ،
شذرات الذهب ، ج٢ ، ص ٣١ .

(٣) الأزدي ، للمصدر السابق ، ج٢ ، ص ٣٩٥ .

(٤) الشافقي ، الديارات ، تحقيق كوركيس عول ، ط بيروت ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦م ، ص ١٢٧ ، ابن طيفور ، كتاب
بغداد ، ج٦ ، ط مومسرا ، ١٩٠٨ ، ص ٣٦٨ ، خولندامير ، روضة الصفا في سيرة الأنبياء والملوك والخلفاء ،

ترجمة أحمد عبد القادر ، مراجعة السباعي محمد السباعي ، ط القاهرة ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م ، ص ٤٩ .

(٥) الطبري ، للمصدر السابق ، ج٥ ، ص ١٨٠ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٠ ، ص ٢٩٢ .

تاريخ الإسلام في أذربيجان ————— من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر العباسي الأول

وولي إبراهيم بن مصعب على رأس جيش من الحامية العسكرية فالتقى بهم سنة ٢١٩هـ / ٨٣٤م ، واستطاع أن يقتل عدد كبير من هؤلاء الخرمية وأسرع عدد آخر وأرسل بهم إلى المعتصم (١) .

ومنذ عام ٢٢٠هـ / ٨٣٥م أخذت الحرب مع الخرمية منحى جديد ، وبدأت مرحلة جديدة من مراحلها ، حيث قام المعتصم بتعيين الأفشين والياً على أذربيجان وحرب الخرمية ، فأدرك الأفشين أهمية أذربيجان الحربية وقام بتحصين المدن الرئيسية القريبة بها ، واتخذ منها مركزاً للاتصال بحاضرة الخلافة ، وأعاد ترتيب الاتصالات بالمدن القريبة من أربيل مثل برزند وأعاد تحصينها (٢) .

وقام الأفشين بتنظيم البريد بين أربيل والجيش على الجبهة مع الخرمية ، وبين سامراء وأربيل ، فكانت الرسالة تصدر من الأفشين على جبهة القتال إلى سامراء في أقل من أربعة أيام في ظل حراسة مشددة ، كما أنه أدرك أهمية الجواسيس في حربه مع بابك فأطلق عيوناً وجواسيس لتتبع أخبار بابك أولاً بأول (٣) .

وبدأ الأفشين بجني ثمار هذه التنظيمات والاستحكامات الحربية ، فبدأ التقدم نحو حصون بابك ومحاولة اقتحامها ، وفي عام ٢٢٢هـ / ٨٣٦م خاض حرباً ضروساً مع بابك وحاول اقتحام مدينة البذ التي يتحصن بها الخرمية ، وبعد حرب شديدة نجح الأفشين في اقتحامها والاستيلاء عليها ، إلا أن بابك هرب وبعض خاصته (٤) .

(١) الطبري، ٤ ، المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ١٢٠٧ ابن الأثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ٤٤٥ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٠ ، ص ٣٠٦ .

(٢) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج ٥ ، ص ٢١٠ ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، ج ١١ ، ص ١٥٢ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ٤٤٩ - ٤٥٠ .

(٣) لحمد الحنطوي ، حركات ومزمرات مناهضة في تاريخ الإسلام ، ص ٤٦١ .

(٤) الطبري ، المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٢٢١ - ٢٢٦ ، الأزدي ، تاريخ لموصل ، ج ٢ ، ص ٤٢٥ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٠ ، ص ٣٠٨ ، وللمزيد انظر :

Percy sykes : History of persia, Vol.2 , London, 1963 , P. 11 .

تاريخ الإسلام في أذربيجان ————— من الفتح الإسلامي إلى نهابه العصر العباسي الأول

وطل الأفشين يبحث عن بابك الخرمي ويحتال للقبض عليه إلي أن أدرك هدفه وقبض عليه وسيق هو وأتباعه إلي سامراء مقيدتين في الأصفاد^(١) وكان وصولهم إلي سامراء سنة ٢٢٣ هـ / ٨٣٧ م يوماً مشهوداً^(٢).

وقد طال أمد حركة الخرمية واستعصت في أحيان كثيرة على السلطة المركزية العباسية وكان لذلك أسباب : ويأنيء ذي بديء نذكر أن العوامل الطبيعية كان لها العامل المؤثر واستغلها بابك أحسن استغلال ، فتحصن في منطقة جبلية شتاؤها قارص البرودة يتعذر على جيوش الخلافة العباسية التكيف معها ، وتضطرهم هذه العوامل إلي الانحدار إلي أذربيجان لقضاء الشتاء بها ثم مواصلة الحرب مع بداية الصيف^(٣).

واتبع بابك في حربه مع الدولة العباسية حرب عصابات في المناطق الجبلية وزاد ذلك من صعوبة مهمة جيش الدولة العباسية في الدخول في حرب منظمة^(٤).

وقد لاقت دعوات الخرمية الإباحية تأييداً كبيراً من بني جلدته ومن هم على شاكلته ، ووجدت مرتعاً خصباً بين أصحاب النفوس الضعيفة ودهماء العامة^(٥).

ونال بابك تأييداً معنوياً من أعداء الدولة العباسية أمثال الخزر والبيزنطيين والأرمن الذين أيدوه ضد الدولة العباسية لا سيما في مراحل الحركة الأولى وذلك بعد

(١) الطبري ، المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٢٨ - ٢٣١، ابن الأثير ، الكمل ، ج ٦ ، ص ٤٦٢ - ٤٧٥ ، الذهبي ، دول الإسلام ، ص ١٢٠ ، وللمزيد انظر : الفزويني ، لب التواريخ ، ١٢١٤ هـ ش ، ص ١٧١ ، علي أكبر فياض ، تاريخ إسلام ، تهران ، ١٣٢٧ هـ ش ، ص ١٩٨ .

(٢) وللمزيد انظر : الطبري ، المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٢٣٣ - ٢٣٤ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٠ ، ص ١٣٠٩ ، الحنبلي ، ذخرات الذهب ، ج ٢ ، ص ٥١ ، محمد جواد مشكور ، نظري به تاريخ أذربيجان ، تهران ، ١٣٤٩ هـ ش ، ص ١٢٧ - ١٣٨ .

(٣) انظر : الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج ٥ ، ص ٢٢١ - ٢٢٢ ، الأزدي ، تاريخ السومل ، ج ٢ ، ص ٤٢٥ ، ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ١١ ، ص ٧٣ - ٧٤ ، ابن الأثير ، الكمل ، ج ٦ ، ص ٤٦٢ .

(٤) الحسن بن عبد الله ، أثار الأول في ترتيب الدول ، مخطوط بمكتبة الإسكندرية تحت رقم ٣٧٠٧ / تاريخ ، ورقة ١٤٢ ، حسن أحمد محمود / أحمد إبراهيم الشريف ، العالم الإسلامي في العصر العباسي ، ١٩٧٧ ، ص ٨١ - ٨٢ .

(٥) إيوارد بروي ، تاريخ الحضارات العلم / القرون الوسطى ، ص ١٣٠ - ١٣١ .

نارح الإسلام في أذربيجان ————— من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر العباسي الأول

الانتصارات المتلاحقة التي حققها خلال الفترة الواقعة بين عامي ٢٠٤هـ و ٢٠٩هـ / ٨١٩م - ٨٢٤م، ووصلت إلى حد قيام بابك بالتصاهر مع أحد الأمراء الأرمن (١).

وفي بعض الأحيان كان حدوث فتنٍ وقلقل في أذربيجان - والتي تعد خط الدفاع الأول - يؤدي إلى إضعاف الجبهة الداخلية وإنهاك قوي الخلافة في أمور جانبية مثلما حدث عندما تمرد زريق في أربيل، فاضطرت الدولة العباسية إلى تحويل الاهتمام ومحاولة القضاء عليه (٢).

كما أن سوء تصرف بعض القادة مع سكان أذربيجان أدى إلى انصراف الناس عن تأييد الدولة العباسية إن لم يتحول التأييد لصالح الخرمية مثلما حدث وأساء علي بن هشام (٣).

وبالرغم من القضاء على بابك الخرمي وحركته، إلا أنه ترتب عليه حدوث قلقل ومتاعب استمرت وطال أمدها أثرت بالسلب على أذربيجان، فحينما بدأ الأفشين تضييق الخناق على بابك وبدأت حركته في الانزواء، فكر بابك في فتح جبهة جديدة على الدولة العباسية، ويشغل بها الأفشين عن قتالة، فاتصل بالإمبراطور البيزنطي ثيوفيل بن ميخائيل بحثه ويزين له مهاجمة الدولة العباسية (٤) ووجد طلب بابك هوي في نفس ثيوفيل خاصة وأنه قد فرغ من مشكلاته في صفلية، فانتهاز الفرصة وهاجم حدود الدولة

(١) حسن أحمد محمود / إبراهيم الشريف، المرجع السابق، ص ٨١ - ٨٢، عبد الرحمن محمد عبد القوي، أرمينية وحلاقتها للسياسية بكل من البيزنطيين والمسلمين، ط الكويت، ١٩٨٩م، ص ١٠٢ - ١٠٣، نيكيتا إرليشيف، الشرق الإسلامي في العصر الوسيط، ص ٢٣٣ - ٢٣٥.

(٢) الأزدي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٥٨ - ٣٥٩، ٣٧٨ - ٣٧٩.

(٣) أنظر: الطبري، المصدر السابق، ج ٥، ص ١٨٢، ابن الجوزي، المصدر السابق، ج ١، ص ١١، ص ٣، ابن الأثير، الكامل، ج ٦، ص ٤٢٢.

(٤) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٢٣٥، ابن الحوزي، المنتظم، ج ١١، ص ٧٨، ابن الأثير، الكامل، ج ٦، ص ٤٧٩، ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخير، ج ٣، ص ٣٢٧ - ٣٢٨.

تاريخ الإسلام في أذربيجان ————— من الفتح الإسلامي إلى نهايه العصر العباسي الأول

العباسية بجيش كبير (١).

وبعد انتهاء المعتصم من بابك الخرمي ، قام بتجميع أعداد كبيرة من الجنود ، ونجح في استعادة ما استولي عليه البيزنطيون وأعاد إلى الدولة العباسية وللإسلام هيئته وخاض بالمسلمين ملحمة عظيمة (٢).

وفي أثناء حملة المعتصم على بيزنطة وبعد الانتهاء من حركة بابك الخرمي حدث نوع من الفراغ السياسي والحربي في أذربيجان لانشغال المعتصم بهذه الحملة ، فاستغل أحد القادة العباسيين هذا الأحداث حيث استولي محمد بن عبد الله الورتثاني على أردبيل وأعلن التمرد والعصيان سنة ٢٢٤هـ / ٨٢٨م وبالرغم من أنه لم يجد تأييداً من سكان أذربيجان إلا أنهم لم يجدوا من يعينهم على قتاله وظلت سيطرته عليها إلى أن أرسل إليه المعتصم بقائديه منكجور ويغا وضيقا عليه الخناق ، فلما وجد انصراف الناس عنه طلب الأمان فأمناه وقدما به على المعتصم (٣).

وبعد اقتضاح أمر الأفسنين (٤) واكتشاف شعوبيته وزندقته والمؤامرة التي كان يحيكها وعلاقته بالمازيار (٥) وما كانا يديران بالاشتراك مع بابك الخرمي لتهديد الإسلام

(١) ابن الأثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ٤٧٩ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٠ ، ص ٣١٠ ، عبد الرحمن محمد ، أرمينية ، ص ١٠٨ - ١٠٩ .

M.A Shaban : Islamic History , P. 59 , John Glubb : The Empier of the Arab , P. 344

(٢) ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج١١ ، ص ٧٨ - ٧٩ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٠ ، ص ٣١١ - ٣١٢

(٣) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص ٤٧٥ ، الطبري ، المصدر السابق ، ج٥ ، ص ٢٦٠ - ٢٦١ .

(٤) عن طبيعة وتفاصيل مؤامرة الأفسنين انظر : الطبري ، المصدر السابق ، ج٥ ، ص ٢٦٠ - ٢٦٥ ، ابن الأثير ،

الكامل ، ج٦ ، ص ٥١٠ - ٥١١ ، ٥١٧ - ٥١٨ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٠ ، ص ٣١٧ - ٣١٨ ،

ابن ودران ، تاريخ العباسيين ، تحقيق المنجكي للكعبى ، ط بيروت ، ١٩٩٣ م ، ص ٤٩٠ .

(٥) المازيار : تولى طبرستان في خلافة المعتصم ، وتظاهر بالإسلام وسمى نفسه محمد ، وهو من أتباع المزدكية

واتصل بابك الخرمي والأفسنين وتراسلوا مراراً وتلقوا على مناهضة الإسلام ومحاوله النيل منه إلى أن اكتشف

أمرهم . عن تفاصيل تلك انظر : الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٥ ، ص ٢٤٨ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج٦ ،

ص ٤٩٥ ، أحمد الحقلاني ، حركات ومؤامرات مناهضة في تاريخ الإسلام ، ص ٤٦٤ ، نبيج الله صفا ، تاريخ

أنبياء إيران ، جلد اول ، تهران ، ١٣٤٧ هـ ش ، ص ٦٣ ، مجتبي مينيوي ، وصائق هدايت ، مازيار ، جلب نون ،

تهران ، ١٩٥٤ ، ص ٣٧ - ٥٤ .

تاريخ الإسلام في أرسحان ————— من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر العباسي الأول
 وليس الدولة العباسية وحدها (١) فقد حاول منكجور (٢) - الذي كان الأفشين قد استنابه
 على أذربيجان - الانتقام من الدولة العباسية ، حيث أعلن العصيان والتمرد ، وقام بجمع
 الأنصار والأتباع من قرابته وقرابة الأفشين وتحصن بأردبيل ، فأرسل إليه المعتصم بقائدة
 بغا ، فحرب عليه الحصار وضيق عليه الخناق ، فلما لم يجد منكجور من أهل أذربيجان
 النصر والتأييد ورأي انصرافهم عنه ، أرسل إلي بغا يطلب الأمان ، فأمنه وعاد به
 إلي سامراء (٣).

وبانتهاء عهد المعتصم بدأت المشاكل تواجه خليفته الواثق (٢٢٧ - ٢٣٢ هـ / ٨٤١
 - ٨٤٦ م) فقد اضطريت الأمور اضطراباً شديداً في أرمينية وأذربيجان ، ففي أردبيل قادت
 بعض القبائل العربية حركة تمرد وعصيان وخروج على سلطة الدولة العباسية وناصبها
 العداء ، واستولي ملوك جبال القوقاز على مدينة باب الأبواب ، وأخذ نطاق التمرد يمتد
 إلي أرمينية وبقية مدن أذربيجان فأرسل إليهم الواثق بقائده خالد بن يزيد بن مزيد
 في جيش كثيف ، حيث بدأ في ضبط الأمور وظل يقاتل حتى وافته المنية فخلفه ابنه
 محمد الذي استطاع أن يفرض سيطرة الدولة العباسية على المناطق التي كانت قد تمردت
 وضبط الأمور في أذربيجان (٤) .

(١) عن تفاصيل ذلك انظر : الطبري ، المصدر السابق ، ج٥ ، ص ٢٤٨ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ٤٩٥ ،
 ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٠ ، ص ٣١٤ ، لحمد الحنفوي ، المرجع السابق ، ص ٤٦٤ - ٤٦٥ .

John Glubb : The Empire of the Arab , P. 347 .

(٢) منكجور : كان قريباً من الأفشين وماعده الأيمن في قتال بابل الخرمي ، ولما تولى أردبيل أخذ يوطد نفوذه ، ولما
 تنزل الأفشين استولى على أموال طائلة كانت له وظن أنها ستساعده في صوابه فأعلن التمرد . انظر الطبري ،
 المصدر السابق ، ج٥ ، ص ٢٦٠ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٠ ، ص ٣١٥ .

(٣) لليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص ٤٧٧ ، ٤٨٨ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ٥٠٥ ، ابن كثير ، البداية
 والنهاية ، ج١٠ ، ص ٣١٥ ، ٣١٧ .

(٤) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص ٤٨١ ، مروان المعور ، الأرمن عبر التاريخ ، ص ٢٠٤ - ٢٠٥ .